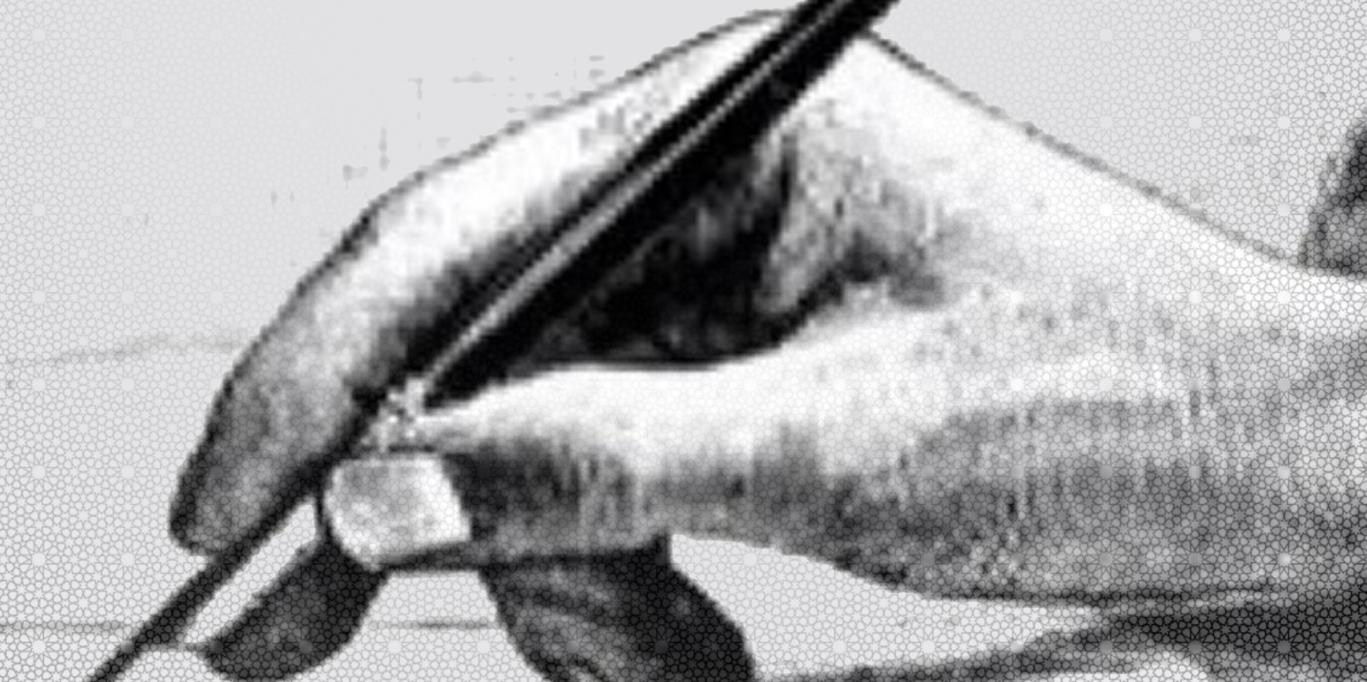
100 مقال

فِي بَيَانِ الخُشُوعِ بَيْنَ
يَدَيِ الكَبِيرِ المُتَعَالِ



تأليف

الدكتور/ أحمد خضر حسنين الحسن

شبكة الألوكة

www.alukah.net

100 مَقَالٍ

فِي بَيَانِ الخُشُوعِ بَيْنَ يَدَي الكَبِيرِ المتَعَالِ

تأليف

الدكتور/ أحمد خضر حسنين الحسن

بِسمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد إمام المرسلين وخاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

كنتُ قد كتبتُ كتابًا كبيرًا بعنوان "المجلي عن روحانيات المصلي"- حيث زادت صفحاته على الـ 500صفحة – وقد لاقى قبولًا كبيرًا ولله الحمد عند كثير ممن اطَّلع عليه من الدُّعاة وطلاب العلم.

وبدا لي أن أختصره في شكل مقالات قصيرة- صفحة ونصف الصفحة تقريبًا- وذلك لينشط القارئ للقراءة ولفهم المحتوى، ومِن ثَمَّ يسهل عليه تطبيق ما قرأه بالتدريج في صلواته.

وقد أسميت هذا المختصر: (100مقال في بيان الخشوع بين يدي الكبير المتعال).

وأسأل الله تعالى بمنه وكرمه أن يتقبل مني هذا الجهد، وأن ينفع به كل قارئ وكل قارئة، وأن يرزقنا جميعًا صلاةً خاشعةً مقبولةً لديه، إنه جواد كريم.

أخوكم ومحبكم/ أحمد خضر حسنين الحسن

رقم الجوال/ 0097433027886

إميل/ Doctorahmed33027886@gmail.com

-1-

إنها وصية سيدنا وحبيبنا وقدوتنا محمد صلى الله عليه وسلم

أخي المسلم أختي المسلمة، لو أن أباك قُبَيْل وفاته أوصاك بوصية، فما هو قدر هذه الوصية؟ وما هي مكانتها عندك؟ لا شك أن لها أهميةً كبيرةً، وستَحظى منك بالعناية بها والسعي في تطبيقها مهما كانت صعبة أو تحتاج منك إلى جهد ومشقة ووقت.

الآن ماذا لو كان الذي أوصاك هو حبيب رب العالمين وسيد الخلق أجمعين صلى الله عليه وسلم، وكانت وصيته تلك ساعةَ احتضاره، فهل ستقوم بها أو تهملها؟ كل منا سيسارع بالجواب: إن وصية الحبيب صلى الله عليه وسلم على العين والرأس، ولن أتأخر عن تنفيذها، فداه أبي وأمي صلوات الله وتسليماته عليه.

والآن أقول لك: هل تعلم ما هو آخر ما أوصى به الحبيب صلى الله عليه وسلم، إنها (الصلاة)؛ فقد جاء في الصحيحين أن آخر وصية رسول الله صلى الله عليه وسلم حين حضره الموت: ((الصَّلاةَ الصَّلاةَ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ))، قال الراوي: "وما زال يغرغر بها في صدره وما يفيض بها لسانه".

نعم أخي المسلم أختي المسلمة، تلك هي وصيته صلى الله عليه وسلم، وتأمل قول الراوي: "وما زال يغرغر بها في صدره وما يفيض بها لسانه"، إن هذه الحال تعني أنه لا يوجد شيء أهم في دين المسلم من الصلاة، ولو كان ثمة شيء آخر أهم منها لما ظل الحبيب صلى الله عليه وسلم يردِّدها إلى أن انتقل إلى الرفيق الأعلى... والآن نسأل أنفسنا: ماذا فعلنا بوصيته صلى الله عليه وسلم؟

والمتأمل في حال المسلمين مع وصيته صلى الله عليه وسلم (الصلاة) يجد أنهم فئات شتى:

- السواد الأعظم أعرض عنها إعراضًا تامًّا فلم يرعها اهتمامًا ولا بنسبة ١٪ فتركها بالكلية، أليست هذه كارثة كبرى؟! فيا ترى ماذا سيقول- من كان هذا حاله مع الصلاة- لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن هو لقيه يوم القيامة؟ هل سيقول له: اسمح لي يا رسول الله فأبي أغلى عليَّ منك وأولى عندي منك بتنفيذ وصيته؟ سينتفض من يسمع هذا الكلام مني ويقول لي: أنا لم أقل هذا ولن أقوله، حينها نقول له: لقد قلته بفعلك وإن لم تقله بلسانك. فسارع أخي التارك للصلاة والمتهاون في إقامتها بالرجوع إلى وصية حبيبك محمد صلى الله عليه وسلم الذي هو رحمة مهداة، ونعمة مسداة، صلى الله عليه وسلم.

*** *** ***

-2-

ماذا فعلنا بوصية حبيبنا وقرة عيوننا محمد صلى الله عليه وسلم

نتابع معًا أحوال أمتنا مع وصية حبيبنا وقدوتنا محمد صلى الله عليه وسلم:

- هناك فئة أخرى قاموا بتنفيذ وصية حبيبهم وحبيب رب العالمين صلى الله عليه وسلم فأدوا الصلاة، ولكنك إذا رأيت أحدهم وهو يصلي، قلت في نفسك: هذا مسكين أتعب نفسه ولم يحظ بالأجر، لماذا؟

لقد قال بعضهم: إن الشيطان قد لعب بكثير من المصلين؛ لأن أحدهم يقضي من الوقت ربع ساعة أو تزيد في الاستعداد للصلاة- في قضاء الحاجة والسواك والوضوء والمشي إلى المسجد- فإذا دخل المسجد صلى التحية في دقيقة واحدة، أو تزيد قليلًا؛ أي: إنه لا يكاد يفقه ما يقول فيها، بالله عليك، أهذه صلاة يُتقرَّب بها إلى الله تعالى؟!

وهذا يُخشى عليه أن ينطبق عليه قوله تعالى: ﴿ فَخَلَفَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا﴾ [مريم: ٥٩].

قال القرطبي رحمه الله تعالى: عن عبد الله بن مسعود: هي إضاعة أوقاتها، وعدم القيام بحقوقها وهو الصحيح، وعن أبي مسعود الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا تجزئ صلاة لا يقيم فيها الرجل يعني- صلبه- في الركوع والسجود))؛ رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

- وهناك فئة ثالثة حرصت على أداء الصلاة بكامل أركانها وشروطها ومندوباتها ولكن قصَّرت في حضور القلب مع ألفاظها وتفهُّم معاني كلماتها، بل ربما تجد أحدهم- أو إحداهن- يصلي سنين طويلة ولكن إذا سألته عن معاني سورة الفاتحة، وقف مشدوهًا ولم يعرف الجواب، أو إن سألته عن معنى تسبيحات الركوع والسجود أو ما معاني ألفاظ التشهد؟ استغرب السؤال؛ لأنه لم يخطر على باله أن يبحث عن معانيها.

وهذه الفئة الأخيرة هم أيضًا على ثلاث درجات كما في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢].

قال بعضهم في تفسيرها: السابق الذي يدخل المسجد قبل تأذين المؤذن، والمقتصد الذي يدخل المسجد وقد أذن، والظالم الذي يدخل المسجد وقد أقيمت الصلاة؛ لأنه ظلم نفسه الأجر، فلم يحصِّل لها ما حصَّله غيره.

*** *** ***

-3-

الصلاة سبب في تقوية الإيمان لمواجهة مصاعب الحياة

من الواقع الذي نعيشه أن أشغال الحياة كثيرة والأحداث متلاحقة، فالواحد منا منذ أن يصبح وإلى أن يمسي يجد نفسه لا يكاد يفرغ من موضوع إلا ودخل في آخر، ولعل السبب في ذلك أن ثمة اختلافًا بين الحياة التي نعيشها في الوقت الحاضر، والحياة التي كانت سائدة بالماضي، فهي تحتاج إلى بذل جهد من أجل توفير الاحتياجات والمتطلبات.

ولولا ما وهب الله تعالى المؤمن من قناعة وإيمان بما كُتب وقُدر له لأصيب بالأمراض النفسية المتنوعة؛ كالاكتئاب والوسواس القهري وما إلى ذلك، فهذه القناعة تبعث في نفسه الراحة والطمأنينة.

وبناءً عليه أقول: إن أهم أسباب قوة الإيمان هو الصلاة؛ ولذا سمَّاها الله تعالى في كتابه إيمانًا، ورد ذلك في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣].

إذن فمن أراد أن تسهل عليه صعوبات الحياة وأن يتيسر له ما تعسر من أمر الدنيا فعليه أن يحرص على ما يُثبِّت إيمانه ويقويه؛ ألا وهو الصلاة.

ومن هنا تفهم - أخي المستمع الكريم - لماذا كانت آخر وصية أوصانا بها النبي صلى الله عليه وسلم الصلاة، ولماذا كررها إلى أن فاضت روحه إلى بارئها لعله - والله أعلم - أراد منا أن نجابه صعوبات الحياة بهذه الصلاة، فهي النور والسرور والطُّمَأنينة والحبور.

لكن هل كل صلاة تستحق هذه الأوصاف، وهل كل مُصَلٍّ يجد تلك الأوصاف في نفسه عندما يصلي، هنا يأتي قوله صلى الله عليه وسلم: ((وجُعلت قرة عيني في الصلاة))؛ (رواه الترمذي والنسائي).

فهل الصلاة قرة عين لك، اعلم أخي الكريم أن الأمر كما قال بعض العلماء: إن الصلاة هي قرة عيون المحبين، وبها وعندها الراحة، ولا يجدون الأنس والطمأنينة والسكينة إلا فيها حيث الخشوع والخضوع والتذلل لله والانكسار بين يديه.

قال ابن حجر رحمه الله تعالى: "ومن كانت قرة عينه في شيء، فإنه يود أن لا يفارقه ولا يخرج منه؛ لأن فيه نعيمه، وبه تطيب حياته؛ وإنما يحصل ذلك للعابد بالمصابرة على النصب، فإن السالك غرض الآفات والفتور -أي عرضة للإصابة بذلك-".

وقد بلغت الصلاة عنده صلى الله عليه وسلم مبلغًا لم يبلغه شيء سواها؛ حيث بلغت مرتبة فوق مرتبة المحبة؛ وهي مرتبة قرة العين وراحة البال.

بيان فضائل الصلاة من الكتاب والسنة وكلام العلماء [١/٣]

سنبدأ في هذه المقال مجموعة من المقالات - بعون الله تعالى - لبيان فضائل الصلاة من الكتاب والسنة وكلام العلماء:

* الصلاة نور: هكذا جاء في الحديث النبوي الشريف ((الصلاة نور))، فكما أن النور يستضاء به، فكذلك الصلاة تهدي إلى الصواب، وتمنع من المعاصي، وتنهى عن الفحشاء والمنكر.

* الصلاة صلة بين العبد وربه، وهي عماد الدين، يجد فيها المسلم لذة مناجاة ربه، فتطيب نفسه، وتقر عينه، ويطمئن قلبه، وينشرح صدره، وتُقضى حاجته، وبها يرتاح من هموم الدنيا وآلامها.

*الصلاة لها ظاهر وباطن: أما الظاهر فيتعلق بالبدن؛ كالقيام والجلوس، والركوع والسجود، وسائر الأقوال والأعمال، وأما الباطن فهو يتعلق بالقلب، ويكون بتعظيم الله تعالى، وتكبيره، وخشيته، ومحبته، وطاعته، وحمده، وشكره، وذل العبد وخضوعه لربه، فالظاهر يتحقق بفعل ما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم في الصلاة، والباطن يتحقق بالتوحيد والإيمان، والإخلاص، والخشوع.

* الصلاة لها جسد وروح: فجسدها القيام والركوع والسجود والقراءة، وروحها: تعظيم الله وخشيته، وحمده، وسؤاله، واستغفاره، والثناء عليه، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى عباد الله الصالحين.

* أمر الله كل مسلم بعد إقراره بالشهادتين بالصلاة: أن يقيد حياته بأربعة أشياء: (الصلاة، الزكاة، الصيام، الحج) وهذه أركان الإسلام، وفي كل منها تمرين لتنفيذ أوامر الله على نفس الإنسان، وماله، وشهوته، وطبيعته؛ فالصلاة أفضلُ الأعمال بعد الشهادتين، لجواب النبيِّ صلى الله عليه وسلم عندما سُئل عن أفضل الأعمال: "أيُّ العَمَلِ أفْضَلُ؟ قالَ: ((الصَّلاةُ لِوَقْتِها))، قالَ: قُلتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قالَ: ((برُّ الوالِدَيْنِ))، قالَ: قُلتُ: ثُمَّ أيٌّ؟ قالَ: ((الجِهادُ في سَبيلِ اللَّهِ))"؛ رواه مسلم، فتجب إقامتها حسب ما يحب الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، لا حسب هوى العبد.

* المسلم في الصلاة ينفذ أوامر الله تعالى بكل عضو من أعضائه وكل حاسة من حواسه: فالقلب يعقل، واللسان ينطق، والعين تنظر إلى موضع السجود. وهكذا لكل عضو عمل في الصلاة، وهذه ميزة لا توجد في غيرها من العبادات، وذلك ليتدرب المصلي على طاعة الله وتنفيذ أوامره في شؤون حياته كلها: في أخلاقه، ومعاملاته، وطعامه، ولباسه، وهكذا حتى يكون مطيعًا لربه داخل الصلاة وخارج الصلاة.

* والصلاة زاجرة عن فعل المنكرات، وسبب لتكفير السيئات: عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمِعَ رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((أرأيتم لو أن نهرًا بباب أحدكم يغتسل منه كل يوم خمس مرات، هل يبقى

من درنه شيء؟))، قالوا: لا يبقى من درنه شيء، قال: ((فذلك مثل الصلوات الخمس، يمحو الله بهن الخطايا))؛ متفق عليه.

*** *** ***

-5-

بيان فضائل الصلاة من الكتاب والسنة وكلام العلماء [٢/٣]

نواصل الحديث حول فضائل الصلاة، وستسمع ما يسرُّك أخي المستمع الكريم بإذن الله تعالى:

* الصلاة تعني التَّقرب الدَّائم لله في كلِّ وقتٍ على مدار ساعات اليوم واللَّيلة؛ فيبقى العبد قريبًا من ربّه، لا يغفل عن ذِكره ولا مخافته ولا استشعار عظمته؛ لذا فهي تزيد من محبة العبد لربه، فيسرعُ في طريقه إليه، وذلك بالمسارعة للقيام بما يحبه سبحانه، فالمحبُّ للحبيب مطيعٌ، كما أنها تعني بقاء لسان المسلم رطبًا بذِكر الله من قراءة قرآنٍ ودعاء أثناء الصَّلاة وما يتبعها من أذكارٍ عقب انتهاء الصَّلاة.

وإلى هذا المعنى يشير الحبيب صلى الله عليه وسلم بقوله: ((إنَّ أحدَكم إذا قام يُصلِّي إنما يُناجي ربَّه، فلْينظرْ كيف يُناجيه))؛ صححه الألباني في صحيح الجامع الصغير.

* الصَّلاة بخشوعٍ وطمأنينةٍ سببٌ لتطهير القلب من الذُّنوب والآثام والأحقاد؛ فتسمو النَّفس البشريَّة عن مفاتن الدُّنيا وزخرفها، ويترفَّع عن صغائر الأمور والمعاصي، فهي تهذيب للنَّفس، وإجبارها على التَّواضع حينما يقف المرء بين يدي ملك الملوك الجبار.

* الصلاة فيها التقرُّب إلى الله في أكثر المواضع قُربًا منه وهو السُّجود؛ لكي يدعو المسلم بما يشاء لنفسه ولغيره بما يريد من أمور الدُّنيا والآخرة؛ لذا كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم إذا نزل به أمرٌ جَلَلٌ هرع إلى الصَّلاة كي يرفع الله البلاء وينزل الرَّحمة.

* الصلاة تعني تعويد المسلم على الالتزام بالمواعيد والانضباط وأداء الفعل بالكيفيّة المكلَّف بها، مع الالتزام بالهدوء والسَّكينة والوقار، وفيها أيضًا تعويد المسلم على السُّلوك الملائم في إطار الجماعة من خلال صلاة الجماعة، وما يتبعها من احترام الآخر وعدم إلحاق الأذى أو الإزعاج بالمجموعة، وضرورة الانصياع لأمر قائدٍ واحدٍ يُمثله الإمام.

* الصلاة امتحانٌ للثبات على أمر الله عز وجل، والصبر على تنفيذِ أوامره، فهي مقياسٌ للتفاضل بين الناس، لأخذِ الجزاء من الله يوم القيامة.

وإلى هذا المعنى يشير الحبيب صلى الله عليه وسلم بقوله: ((من حافظ عليها كانت له نورًا وبرهانًا ونجاة يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور، ولا برهان ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون، وفرعون، وهامان، وأُبيّ بن خلف))؛ رواه أحمد بإسناد جيد.

* الصلاة سبيل لإثبات الإيمان، وشهادةٌ لنفي النفاق والفسق، وهي الالتزامُ بأمر الله عز وجل، فهي عمود الدين، يقوم بإقامته.

وإلى هذا المعنى يشير الحبيب صلى الله عليه وسلم بقوله: ((إنَّ أَثْقَلَ صَلَاةٍ علَى المنَافِقِينَ صَلَاةُ العِشَاءِ، وَصَلَاةُ الفَجْرِ، ولو يَعْلَمُونَ ما فِيهِما لَأَتَوْهُما ولو حَبْوًا))؛ رواه مسلم.

*** *** ***

-6-

بيان فضائل الصلاة من الكتاب والسنة وكلام العلماء [٣/٣]

نواصل الحديث حول فضائل الصلاة، وسترى ما يسرُّك أخي القارئ الكريم بإذن الله تعالى:

*الغرض الحقيقي من الصلاة، إنما هو تعظيم الإله فاطر السموات والأرض بالخشوع له والخضوع لعظمته الخالدة، وعزته الأبدية، فلا يكون المرء مصليًا لربه حقًّا إلا إذا كان قلبه حاضرًا مملوءًا بخشية الله وحده، فلا يغيب عن مناجاته بالوساوس الكاذبة أو الخواطر الضارة، ومن يقف بين يدي خالقه وقلبه على هذه الحالة ذليلًا خاشعًا، خائفًا وجلًا من جلال ذلك الخالق القادر القاهر، ذي السطوة التي لا تُحدّ، والمشيئة التي لا تُردّ، فإنه بذلك يكون تائبًا من ذنبه، منيبًا إلى ربه، وتصلح أعماله الظاهرة والباطنة، وتقوى علاقته بربه، ويستقيم مع عبادته تعالى.

*الصلاة التي تنهى عن الفحشاء والمنكر، تلك التي يكون العبد فيها معظمًا ربه، خائفًا منه، راجيًا رحمته، فحظ كل واحد من صلاته إنما هو بقدر خوفه من الله، وتأثُّر قلبه بخشيته؛ لأن الله سبحانه إنما ينظر إلى قلوب عباده لا إلى صورهم الظاهرة؛ ولذا قال الله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤]، ومن غفل قلبه عن ربه لا يكون ذاكرًا له، فلا يكون مصليًا صلاة حقيقية.

*الصلاة سبب لرفع درجات العبد في الجنة حتى يكون من رفقاء النبي صلى الله عليه وسلم: عَنْ رَبِيعَة بْن كَعْبٍ الأَسْلَمِيّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ الله صلى الله عليه وسلم، فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ، فَقَالَ لِي: ((سَلْ))، فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الجَنَّةِ، قال: ((أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟))، قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ، قال: ((فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ))؛ أخرجه مسلم.

قال الشيخ العثيمين في فتاوى نور على الدرب: وأما ((أعِنِّي على نفسك بكثرة السجود)) فالمراد به: كثرة الصلاة، والسجود يطلق على الصلاة؛ لأنه ركن فيها، وما كان ركنًا في العبادة صحَّ أن يعبر به عنها؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣].

وقال تعالى: ﴿ يَامَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٣] والمراد بذلك كل الصلاة؛ انتهى.

فإذا اجتهد العبدُ في صلاة التطوع من الرواتب، وصلاة الضحى، وقيام الليل، وسنة الوضوء، وغيرها، رُجي له أن ينال هذه الفضيلة، وهي مرافقة النبي صلى الله عليه وسلم في الجنة، وبقدر الاجتهاد في فعلها، والحرص على الإكثار منها يقوى رجاء العبد في تحصيل هذا الخير، نسأل الله أن يجعلنا وإياك من أهله.

*** *** ***

-7-

بعض من أحوال السلف الصالح في الصلاة

- قال مجاهد رحمه الله: كان إذا قام أحدهم يصلي يهاب الرحمن أن يشد بصره لشيء، أو يلتفت، أو يقلب الحصى، أو أن يعبث بشيء، أو يحدّث نفسه في شأن من شؤون الدنيا، إلا ناسيًا ما دام في صلاته؛ تعظيمًا لقدر الصلاة.

- وكان ابن الزبير رضي الله عنهما إذا قام للصلاة كأنه عود من الخشوع! وكان بعضهم ينفتل من صلاته متغير اللون؛ لقيامه بين يدي الله عز وجل، وبعضهم إذا كان في الصلاة لا يعرف مَنْ عن يمينه ولا مَنْ عن يساره، وبعضهم يصفرّ وجهُه إذا توضأ للصلاة، فقيل له: إنا نراك إذا توضأت للصلاة تغيرت أحوالك، قال: إني أعرف بين يدي مَنْ سأقوم.

- وكان علي بن أبي طالب رضي الله عنه إذا حضرت الصلاة يتزلزل ويتلوَّن وجهُه، فقيل له مالك؟ فيقول:جاء والله وقت أمانة عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملتها.

- وكان بعض العلماء لا تنقطع الدموع من خديه على لحيته، وبلغنا عن بعض التابعين أنه كان إذا قام إلى الصلاة تغيَّر لونه، وكان يقول: أتدرون بين يدي من أقف وأناجي؟!

- وقيل لعامر بن قيس رحمه الله: أتُحدِّث نفسك في الصلاة؟ فقال: أو شيء أحب إليّ من الصلاة أحدث به نفسي؟ قالوا: إنا لنحدث أنفسنا في الصلاة، فقال: أبالجنة والحور ونحو ذلك؟ قالوا: لا، ولكن بأهلينا

وأموالنا، فقال هذا الرجل الصالح: والله لأن تختلف الأسِنَّةُ فيَّ أحَبُّ إليَّ من أن أحدِّث نفسي في الصلاة بأمور الدنيا.

- وقال سيدنا سعد بن معاذ رضي الله عنه: ثلاثة أنا فيهن رجل، وفيما سوى ذلك فأنا واحد من الناس: ما دخلت في صلاة فشغلت بغيرها حتى أنصرف منها، ولا سمعت حديثًا من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا علمت أنه حق من الله تعالى، ولا سرت في جنازة فحدثت نفسي بغير ما تقول حتى أنصرف منها.

- قال بعض العلماء: إني أقوم بالأمر، وأمشي بالخشية، وأدخل بالنية، وأكبر بالعظمة، وأقرأ بالترتيل والتفكر، وأركع بالخشوع، وأسجد بالتواضع، وأجلس للتشهد بالتمام، وأسلم بالنية، وأختم بالإخلاص، وأرجع إلى نفسي بالخوف؛ أخاف ألَّا يقبل مني، وأحفظه بالجهد إلى الموت.

قال بعضهم: ما رأيت أحسن من صلاة ابن نصر المروزي، وكان إذا دخل في الصلاة ترتعد أضلاعه حتى لا يميل يَمْنَةً ولا يَسْرَةً من شدة الخشوع.

*** *** ***

المكانة العظمى للصلاة في ديننا [١/ ٤]

سنبدأ في هذه المقال- بعون الله تعالى- مجموعة من المقالات لبيان المكانة العظمى للصلاة في ديننا:

تتبع العلماء ما ورد في الكتاب والسنة مما يدل على عظمة الصلاة في الإسلام فوصلت إلى أربعين دليلًا:

1- الصلاة أول ما فرض الله تعالى بعد الإيمان به سبحانه وتوحيده؛ يعني: من حيث الرتبة والمكانة؛ لا من حيث الزمان التشريعي، وإلا فهناك بعض الأحكام الشرعية كلف الله تعالى بها عباده قبل الصلاة.

2- الصلاة أعظم ما فرض الله تعالى بعد الإيمان به وتوحيده، فهي أعظم أركان الإسلام بعد الشهادتين، أعظم من الصوم والزّكاة والحجّ.

3- الصلاة أعظم شعائر الإسلام الظاهرة، وخير عمل المسلم كما في الحديث ((واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة))؛ رواه الإمام أحمد، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

4- الصلاة فرضت في السماء، كما هو معلوم من معجزة الإسراء والمعراج، بخلاف سائر أركان الإسلام.

5-الصلاة فرضت على جميع الأنبياء والمرسلين، ويتعبّد لله بها أهلُ السموات والأرض.

6- الصلاة أوّل ما يؤمر به المسلم في صغره، كما في الحديث: ((مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين))؛ رواه الإمام أحمد وأبو داود، وحسنه الألباني، صحيح الجامع.

7- الصلاة آخر ما وصّى به النبيّ صلى الله عليه وسلم عند موته كما في الحديث ((الصلاةَ الصلاةَ وما ملكت أيمانكم))؛ رواه الإمام أحمد والنسائي، وصححه الألباني، صحيح الجامع.

8- الصلاة لا تسقط عن المسلم ما دام مكلَّفًا، ما عدا الحائض والنفساء، فيصلّي المسلم مسافرًا أو خائفًا ومريضًا على حسب استطاعته، بخلاف الصوم والزكاة والحجّ فتسقط بالأعذار.

9- لم يرد عن النبي صلى الله عليه وسلم أن شيئًا من أعمال الإسلام تركه كفر إلا الصلاة كما في الحديث ((إن بين الرجل والكفر والشرك ترك الصلاة))؛ رواه مسلم، وفي الحديث الآخر ((العهد الذي بيننا وبينهم الصلاة فمن تركها فقد كفر))؛ رواه أهل السنن، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

10- الصلاة آخر ما نفقد من ديننا، كما في الحديث ((وآخر ما يبقى من دينهم الصلاة))؛ حسنه الألباني في صحيح الجامع.

*** *** ***

المكانة العظمى للصلاة في ديننا [٢/٤]

نواصل الحديث حول المكانة العظمى للصلاة في ديننا، وستقرأ ما يسرُّك أخي القارئ الكريم بإذن الله تعالى:

11- الصلاة سمّاها الله إيمانًا كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣] والمعنى: وما كان الله تعالى ليذهب صلاتكم وأعمالكم الصالحة التي قمتم بها خلال توجهكم إلى بيت المقدس.

12 – أقرب ما يكون العبد من ربّه وهو ساجد، كما ثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم في صحيح مسلم.

13– الصلاة هي أعظم الأسباب المعينة على مرافقة النبي صلى الله عليه وسلم في الجنّة؛ فقد قال صلى الله عليه وسلم لمن سأله مرافقته في الجنّة: ((أعِنِّي على نفسك بكثرة السجود))؛ رواه مسلم.

14– بالصلاة يتميز المؤمنون عن المنافقين يوم القيامة، وعبر الله عنها بالسجود، كما في قوله تعالى: ﴿ يَوْمَ يُكْشَفُ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢].

15– الصلاة هي أعظم وأبرز العلامات التي يعرف بها النبي صلى الله عليه وسلم أمته، كما في الحديث: ((إن أمتي يدعون يوم القيامة غرًّا مُحجَّلين من آثار الوضوء))؛ رواه البخاري ومسلم.

16– الصلاة تحمي صاحبها يوم القيامة ولو دخل النار، كما أخبر النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث ((حرَّم الله عزَّ وجل على النار أن تأكل أثر السجود))؛ متفق عليه.

17– الصلاة أعظم ما يعصم المسلم من الفواحش والمنكرات والجرائم، كما في قوله تعالى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

18– الصلاة أعظم ما يعصم الدمّ بعد الإيمان بالله تعالى؛ قال تعالى: ﴿ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ﴾ [التوبة: ٥] وقال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إني نهيت عن قتل المصلّين))؛ رواه أبو داود والإمام أحمد، وصححه الألباني، صحيح الجامع.

19– أمر الله بالاستعانة بالصلاة، قال تعالى: ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]، وقال تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

والمراد من الاستعانة بالصلاة كما قال بعض العلماء: إن الصلاة رأس الطاعات؛ فمن أقامها فإنها تكون عونًا له على إقامة بقية الطاعات، وأما الصبر فهو يستعان به على مغالبة المحرمات.

20– "كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر أو أحزنه أمر فزع إلى الصلاة"؛ رواه الإمام أحمد وأبو داود، وحسنه الألباني في صحيح الجامع.

*** *** ***

المقال-10-

المكانة العظمى للصلاة في ديننا [٣/٤]

نواصل الحديث حول المكانة العظمى للصلاة في ديننا، وستقرأ ما يسرُّك أخي الكريم بإذن الله تعالى:

21- الصلاة هي مصدر الراحة؛ فلذا كان النبي صلى الله عليه وسلم ينادي: ((يا بلال، أقم الصلاة، أرحنا بها))؛ رواه الإمام أحمد وأبو داود، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

22- الصلاة هي قرّة عين النبي صلى الله عليه وسلم كما في الحديث ((جعلت قرّة عيني في الصلاة))؛ رواه الإمام أحمد، وصححه الألباني في صحيح الجامع.

23- الصلاة هي ميزان لسائر الأعمال كما قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من حافظ عليها فهو لما سواها أحفظ، ومن ضيّعها فهو لما سواها أضيع.

24- الصلاة هي ميزان لمعرفة مكانتنا عند الله تعالى، قال الإمام أحمد رحمه الله: "من أراد أن يعرف مكانته عند الله فلينظر إلى مكانة الصلاة عنده".

25- الصلاة متضمنة في جميع أعمالها توحيد الله تعالى وتعظيمه سبحانه ومتضمنة للتكبير وللتسبيح وللتحميد وللتهليل، وفيها تواضع وتذلُّل بين يدي الله جلّ جلاله، فتجتمع فيها أجلُّ العبادات.

26 - الصلاة مناجاة مباشرة بين العبد وربّه، ((فإذا قرأ المصلّي الفاتحة، فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ قال الله: حمدني عبدي، فإذا قال: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، قال الله: أثنى عليّ عبدي، فإذا قال: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾، قال الله: مجَّدني عبدي)) إلى آخره كما ورد في الحديث الذي رواه مسلم، وقال صلى الله عليه وسلم: ((إن أحدكم إذا كان في صلاته فإنه يناجي ربه))؛ متفق عليه.

27- الصلاة ((أوّل ما يحاسب به العبد يوم القيامة))، كما في الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي، وفي رواية: ((فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله)) وصححهما الألباني رحمه الله في صحيح الجامع.

28- الصلاة من أعظم أسباب مغفرة الذنوب، قال صلى الله عليه وسلم: ((ما من مسلم تحضره صلاة مكتوبة فيحسن وضوءها وخشوعها وركوعها إلا كانت كفَّارة لما قبلها من الذنوب ما لم تؤت كبيرة، وذلك الدهر كلّه))؛ رواه مسلم.

29- الصلاة أعظم أسباب الفلاح في الدنيا والآخرة بعد الإيمان بالله تعالى، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١، ٢].

30- الصلاة هي أعظم أسباب تزكية النفس وتحرُّرها من الهلع والجزع والبخل وسيئ الأخلاق، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُصَلِّينَ﴾ [المعارج: ١٩ - ٢٢].

31- الصلاة هي أعظم أسباب مفاتيح الرزق؛ قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾ [طه: ١٣٢].

*** *** ***

-11-

المكانة العظمى للصلاة في ديننا [٤/٤]

نواصل الحديث في هذه الحلقة حول المكانة العظمى للصلاة في ديننا، وستقرأ ما يسرُّك أخي الكريم بإذن الله تعالى:

32 – الصلاة: من حافظ عليها كان له عهد عند الله أن يدخله الجنّة، قال صلى الله عليه وسلم: ((خَمْسُ صَلَوَاتٍ افْتَرَضَهُنَّ اللَّهُ تَعَالَى، مَنْ أَحْسَنَ وُضُوءَهُنَّ وَصَلَّاهُنَّ لِوَقْتِهِنَّ، وَأَتَمَّ رُكُوعَهُنَّ وَخُشُوعَهُنَّ، كَانَ لَهُ عَلَى اللَّهِ عَهْدٌ أَنْ يَغْفِرَ لَهُ، وَمَنْ لَمْ يَفْعَلْ، فَلَيْسَ لَهُ عَلَى اللَّهِ عَهْدٌ، إِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ))؛ رواه أبو داود وصححه الألباني.

وعن أبي قتادة بن ربعي رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: افْتَرَضْتُ عَلَى أُمَّتِكَ خَمْسَ صَلَوَاتٍ، وَعَهِدْتُ عِنْدِي عَهْدًا أَنَّهُ مَنْ حَافَظَ عَلَيْهِنَّ لِوَقْتِهِنَّ أَدْخَلْتُهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ لَمْ يُحَافِظْ عَلَيْهِنَّ فَلَا عَهْدَ لَهُ عِنْدِي)) وحسنه الشيخ الألباني في صحيح سنن ابن ماجه.

33- الصلاة ينبغي ألا يشتغل المصلي فيها بغيرها؛ قال صلى الله عليه وسلم: ((إن في الصلاة شغلًا))؛ متفق عليه. وفي هذا دلالة على عظيم أمرها وعلو شأنها.

34- الصلاة عماد الدين، كما قال صلى الله عليه وسلم: ((رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد))؛ رواه الإمام أحمد والترمذي، وصححه الألباني، صحيح الجامع.

ومعلوم أن في قوله صلى الله عليه وسلم: ((عموده الصلاة)) إشارة إلى ضرورة الاهتمام بالصلاة؛ لأن عمود الشيء هو الذي يقيمه، ولا ثباتَ له في العادة بغيره، ولأن الصلاة عماد الدين وقوامه الذي يقوم به، وكما أن العمود يرفع البيت ويهيئه للانتفاع، فكذلك الصلاة ترفع الدِّين وتظهره.

35- الصلاة اشترط الله لها أكمل الأحوال من الطهارة والزينة باللباس واستقبال القبلة، ما لم يشترط في غيرها.

36- انتظار الصلاة رباط في سبيل الله، كما في حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((ألا أدلّكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات؟))، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ((إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخطى إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرّباط، فذلكم الرّباط))؛ رواه مسلم.

37- الصلاة هي العبادة التي أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن يصطبر عليها كما في قوله تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ﴾ [طه: ١٣٢] مع أنه أمره بالاصطبار على جميع العبادات كما في قوله: ﴿فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ﴾ [مريم: ٦٥].

38- أوّل ما يستقبل به المولود، فيؤذّن في أذنه، وآخر ما يودّع به المسلم في هذه الدنيا بالصلاة عليه؛ صلاة الميّت، وصدق من قال:

أذان المرء حين الطفل يأتي = دليلٌ أنَّ مَحْياهُ يسيرُ

وتأخير الصلاة إلى المِمَات = كما بين الأذان إلى الصَّلاة

39- الصلاة: هي أوّل ما يتحسّر على تركه أهل النار يوم القيامة ويوبّخون عليه؛ قال تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ * قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ [المدثر: ٤٢، ٤٣].

40- الصلاة: من حافظ عليها كانت له نورًا وبرهانًا ونجاةً يوم القيامة، قال صلى الله عليه وسلم: ((من حافظ عليها كانت له نورًا وبرهانًا ونجاةً يوم القيامة، ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة، وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأُبيّ بن خلف))؛ رواه الإمام أحمد وابن حبان، وقال الشيخ بن باز رحمه الله: إسناده جيد، مجموع الفتاوى.

*** *** ***

الفرق بين إقامة الصلاة وأدائها [١/٣]

سنبدأ في هذا المقال- بعون الله تعالى- مجموعة من المقالات لبيان الفرق بين إقامة الصلاة وأدائها:

إن الكثيرين لا يفرقون بين أداء الصلاة وبين إقامتها، مع أن الفرق بينهما كبير وواضح جلي؛ فأداء الصلاة معناه أن يأتي الإنسان بأفعال الصلاة وأذكارها على أي نحو وبأي طريقة يستطيعها، وما أيسر هذا على كل أحد! بل يقدر عليه الصبي الذي لم يتجاوز السابعة من عمره إن حفظ أذكار الصلاة وشيئًا من القرآن الكريم، فهو يمكنه بكل سهولة أن يقوم ويركع ويسجد ويأتي بأركان الصلاة مرتبة على حسب ما هو معلوم.

ولكن ليس هذه المطلوب من المسلم ليصلي؛ بل المطلوب منه هو أن يقيم الصلاة وهذا ما أردت توضيحه في هذا المبحث؛ إذ إن العلم بذلك واجب على كل مكلف يريد إرضاء ربه، ويمتثل أمره؛ ليصلي الصلاة المقبولة عند الله تعالى.

وإلى ذلك أشار المولى تعالى في آيات كثيرة؛ إذ لم تأت الصلاة في القرآن إلا وهي مقرونة بلفظ (أقاموا) أو نحوها من العبارات؛ ومن ذلك: قوله تعالى:﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ وردت ثماني مرات، وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ﴾ وردت أربع مرات، ولم يقل: (أدوا الصلاة) أو (يؤدون الصلاة) ولو مرة واحدة؛ لأن الله لا يريد صلاة بلا روح، فما معنى الإقامة؟

إن المفهوم الحقيقي لإقامة الصلاة: هو أداء الصلاة بأفعالها، وركوعها، وسجودها، وخشوعها، والتذلل بين يدي الملك الحق عز وجل، والتفكر فيما يقرأ من القرآن والأذكار، في مختلف أركان الصلاة، ثم أداء الصلاة مع الجماعة في بيوت الله، وإلقاء الدنيا وراء الظهور، والإقبال على الله... ثم المحافظة على الصلوات الخمس حين ينادى بهن.. هذا- تقريبًا - هو المفهوم الحق لإقامة الصلاة.

وهي واضحة من خلال كلمة (أقيموا) فإن الإقامة تشمل كل ما سبق... ومن بلاغة القرآن الكريم جمعه المعاني الجليلة بلفظ موجز، قال الله: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ﴾ ولم ترد آية في القرآن بلفظ: (صلوا) بالأمر المجرد عن الإقامة.

*** *** ***

الفرق بين إقامة الصلاة وأدائها [٢/٣]

في هذ المقال سنبين بعون الله تعالى تفصيل المقصود بإقامة الصلاة:

١/ المحافظة على شروطها: من ستر للعورة وطهارة، واستقبال للقبلة، والطهارة: تشمل رفع للأحداث والأنجاس، طهارة المكان والثوب؛ ولهذا يقول تعالى: ﴿ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ﴾ [المدثر: ٤]، وقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢]، وقال: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَطَهَّرُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمرأة التي سألته عن كيفية الطهارة من دم الحيض: ((اغسلي عنك الدم وصلي)) أمرًا لها بالطهارة.

وأما التوجه إلى القبلة فقد قال تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٩]، وأما رفع الحدث فهو من شروط الصلاة؛ ولهذا أمر الإنسان برفع الحدث، والحدث أصغر وهو ما يرفعه الوضوء، وأكبر وهو ما لا يرفعه إلا الغسل، ولكلٍّ نواقض.

وقد قال صلى الله عليه وسلم: ((لا يقبل الله صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ)) وقد قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ﴾ [المائدة: ٦].

٢/ ومن إقامتها المحافظة على ركوعها وسجودها بمعنى: أن لا ينقرها نقرًا كنقر الغراب الدم، وأن يسوي ظهره في الركوع، فلا يرفعه ولا يخفضه، وأن يعتدل بدون كسل ولا ملل، وألا يقعي كإقعاء الكلب، ولا يسجد على ذراعيه، ولكن على كفَّيه، وأن يضع جبهته على الأرض، ولا ينقرها نقرًا، وأن لا يكثر من الحركات، أما الالتفات لغير حاجة ماسة فهو يبطلها.

٣/ ومن إقامتها المحافظة على خشوعها: والخشوع هو لب الصلاة، وهو المقصود منها؛ ولهذا نبه النبي صلى الله عليه وسلم على هذا الأمر، وأكثر من التركيز عليه فقال: ((إن الرجل لينصرف وما كتب له إلا عشر صلاته, تسعها, ثمنها, سبعها, سدسها, خمسها، ربعها, ثلثها, نصفها))؛ رواه أحمد وحسَّنه الألباني.

يا ترى لماذا حرم هذا الثواب؟! إنه التفاوت في الخشوع والتفكر والخضوع.. وإذا كان الخشوع هو لب الصلاة وأهمها، فحريٌّ بنا أن نذكر بعض معاني الخشوع في الصلاة:

فمن الخشوع: طول القنوت والقيام، فكلما أطال الإنسان القيام في الصلاة، دل ذلك على خشوعه فيها، وإذا رأيته ينقرها نقرًا، فهو دليل على أنه يريد أن يخرج منها بأسرع وقت، إما لانشغاله بغيرها، أو لكونه لا يصليها إلا عادة، أو خوفًا من أحد، أو مجاملة لغيره؛ ولهذا فقد سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي الصلاة أفضل؟ فقال: ((طول القنوت))؛ رواه مسلم وغيره، وفي رواية: ((طول القيام))؛ رواه أحمد وهو حديث حسن.

*** *** ***

الفرق بين إقامة الصلاة وأدائها [٣/٣]

نتابع في هذه المقال- بعون الله تعالى - بيان تفصيل المقصود بإقامة الصلاة:

ومن الخشوع: التفكر في معاني الآيات، وماذا يراد منها، والتفاعل معها، والبكاء من خشية الله؛ ولهذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمر بآية فيها تخويف أو تعظيم لله إلا كررها؛ رواه مسلم.

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يمر بآية رحمة إلا وقف فسأل، ولا بآية عذاب إلا تعوَّذ، وإذا مر بآية فيها تسبيح لله سبح، فهذا هو الخشوع والتفكر.

وكان صلى الله عليه وسلم إذا قام إلى الصلاة يسمع في صدره أزيز كأزيز المرجل؛ أي: كالماء عندما يغلي أو نحوه، فسبحان الله! هذا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقيم الصلاة بخشوعها وأركانها، وهو المغفور له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فما بالنا نحن لا نرعوي، ولا ننزجر؟! يأتي الواحد منا إلى الصلاة وقلبه مشغول هنا وهناك، لا يدري متى ابتدأ فيها، ولا يعلم إلا وقد انتهى... يا أمة محمد، والله ما ضاعت الأمة في آخر أزمانها إلا لما قطعت الصلة الوثقى مع الله!

ولهذا يقول الله عن أهم شيء في الصلاة: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١، ٢].

فذكر الخشوع بالذات لأهميته وكونه هو المقصود، وسيأتي الكلام عن الخشوع مطولًا في المبحث الثاني إن شاء الله تعالى.

٤/ ومن إقامة الصلاة: الإكثار من ذكر الله تعالى فيها فيملأها بالذكر وطول القراءة، وهذا يقتضي أن يمد في وقتها فلا يسرع في القراءة ولا في ركوعها وسجودها، ولا في شيء من أركانها، وإلا كان هذا نقصًا كبيرًا يبعده عن صلاة الخاشعين، ويقرِّبه من صلاة المنافقين، قال تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [النساء: ١٤٢]؛ أي: ولا يذكرون الله في صلاتهم إلا ذكرًا قليلًا أو وقتًا قليلًا؛ لأنهم لا يخشعون ولا يدرون ما يقولون، بل هم في صلاتهم ساهون لاهون.

٥/ ومن إقامة الصلاة: المحافظة عليها في أوقاتها مع جماعة المسلمين بالنسبة للرجال كما قال الله تعالى: ﴿ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

٦/ ومن إقامة الصلاة: استحضار أن الصلاة أجلّ مقامات العابدين، وفيها أهم مطالب السائلين من رب العالمين؛ لما تشتمل عليه من أعظم مقامات العبودية: من إجلال الله وتعظيمه.. وحمده وتمجيده.. وتسبيحه وتقديسه.. وسؤاله واستغفاره.. والتضرع إليه.. والانكسار بين يديه.

*** *** ***

أين نحن من الخشوع في صلاتنا

رأى رَجُلٌ حَاتم الأصم واقفًا يَعِظُ النَّاسَ، فقال: يا حاتمُ، أرَاكَ تَعظُ الناسَ أَفَتُحْسِنُ أَنْ تُصَلي؟ قَالَ: نعم، قال: كيف تُصَلي؟ قال: أقومُ بالأمرِ، وأمْشِي بالسَّكِينَة، وأدْخُل بالْهيبَة، وأُكَبِّرُ بالْعَظَمَةِ، وأقرأ بالترتيل، وأجْلِسُ للتشهد بالتمام، وأسلم على السنة، وأسَلمُهَا إلى ربي، وأحْفَظُها أيامَ حَياتي، وأرْجِعُ باللَّومِ على نفسِي، وأخَافُ أن لا تُقْبَلَ مِنِي، وأرجُو أن تُقْبَلَ مِنّي وَأَنَا بَيْنَ الرَّجَا والْخَوف، وأشكر مَن عَلَّمَني، وَأُعَلِّمُ مَن سَألنِي، وأحمدُ رَبي إذ هَدَاني.

وسُئل رحمه الله تعالى كيف تخشع في صلاتك؟ "فقال: أقوم وأكبّر للصلاة، وأتخيل الكعبة أمام عينيّ والصراط تحت قدميّ، والجنة عن يميني والنار عن شمالي، وملك الموت ورائي، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأمل صلاتي، وأظنّها آخر صلاة فأكبر الله بتعظيم، وأقرأ بتدبُّر، وأركع بخضوع وأسجد بخشوع، وأجعل صلاتي الخوف من الله والرجاء لرحمته، ثم أسلِّم ولا أدري هل قُبلت أم لا.

فقد نقل عن بشر بن الحارث فيما رواه عنه أبو طالب المكي عن سفيان الثوري أنه قال: من لم يخشع فسدت صلاته، وروي عن الحسن أنه قال: كل صلاة لا يحضر فيها القلب فهي إلى العقوبة أسرع.

وعن معاذ بن جبل: مَنْ عرَف من على يمينه وشماله متعمدًا وهو في الصلاة فلا صلاة له. وروي أيضًا مسندًا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن العبد ليصلي الصلاة لا يكتب له سدسها ولا عشرها؛ وإنما يكتب للعبد من صلاته ما عقل منها)).

وقال عبد الواحد بن زيد رحمه الله تعالى: أجمعت العلماء على أنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها، فجعله إجماعًا، وما نقل من هذا الجنس عن الفقهاء المتورعين وعن علماء الآخرة أكثر من أن يُحصَى.

قال شيخ الإسلام رحمه الله تعالى: قال الله تعالى: ﴿ وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]، وهذا يقتضي ذمّ غير الخاشعين، والذمّ لا يكون إلا لترك واجب أو فعل محرّم، وإذا كان غير الخاشعين مذمومين دلَّ ذلك على وجوب الخشوع.

ويدل على وجوب الخشوع فيها أيضًا قوله تعالى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١، ٢] إلى قوله: ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ * الَّذِينَ يَرِثُونَ الْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠، ١١]، أخبر سبحانه وتعالى أن هؤلاء هم الذين يرثون فردوس الجنة وذلك يقتضي أنه لا يرثها غيرهم.

ويدل على وجوب الخشوع في الصلاة أن النبي صلى الله عليه وسلم توعَّد تاركيه، كالذي يرفع بصره إلى السماء فإنه حركته ورفعه وهو ضد حال الخاشع؛ (مجموع الفتاوى - (٢٢/٥٥٣-٥٥٨).

*** *** ***

درجات الخشوع في الصلاة

بعد أن علمنا في المقالات السابقة- أخي الكريم – ضرورة الخشوع في الصلاة كان من المناسب الإشارة إلى درجاته:

فللخشوع في الصلاة ثلاث درجات: (والمراد: الخشوع الكامل في الصلاة: في القراءة فيها، والأدعية، والأذكار) وذلك يكون على ثلاث درجات على النحو الآتي:

الدرجة الأولى: قراءة الأذكار والتلفظ بها مع استحضار معانيها، وهذه الدرجة أدنى ما يُجزِئ من الخشوع الكامل، وفي الحديث قال ابنُ عُميرٍ لعائشة رضي الله عنها: أخبِرينا بأعجَبِ شيءٍ رأَيْتِه مِن رسولِ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم قال: فسكَتَتْ ثمَّ قالت: لَمَّا كان ليلةٌ مِن اللَّيالي قال: ((يا عائشةُ ذَرِيني أتعبَّدِ اللَّيلةَ لربِّي)) قُلْتُ: واللهِ إنِّي لَأُحِبُّ قُرْبَك وأُحِبُّ ما سرَّك، قالت: فقام فتطهَّر ثمَّ قام يُصَلِّي، قالت: فلم يزَلْ يبكي حتَّى بَلَّ حجرَه، قالت: ثمَّ بكى فلم يزَلْ يبكي حتَّى بَلَّ لِحيتَه، قالت: ثمَّ بكى فلم يزَلْ يبكي حتَّى بَلَّ الأرضَ، فجاء بلالٌ يُؤذِنُه بالصَّلاةِ، فلمَّا رآه يبكي قال: يا رسولَ اللهِ، لِمَ تَبكي وقد غفَر اللهُ لك ما تقدَّم وما تأخَّر؟ قال: ((أفلا أكونُ عبدًا شكورًا؟! لقد نزَلَتْ علَيَّ اللَّيلةَ آيةٌ، ويلٌ لِمَن قرَأها ولم يتفكَّرْ فيها: ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٠])) ؛ قال شعيب الأرناؤوط في تخريج صحيح ابن حبان: (إسناده صحيح على شرط مسلم).

قال عبد الرحمن بن سليمان: سألت الأوزاعي عن أدنى ما يتعلّق المتعلّق وينجيه من هذا الويل؟ فأطرق هُنية، ثم قال: "يقرؤهنّ وهو يعقلهنّ" وذلك أن من لم يعقل ما يقول، وسها بتفكيره عن معنى ما يقوله، فقد خرج من الخشوع إلى الغفلة.

ومما يدلّ على ذلك حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه: أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: ((ما من مسلم يتوضأ فيحسن وضوءه، ثم يقوم فيصلّي ركعتين مقبلٌ عليهما بقلبه ووجهه، إلا وجبت له الجنة))؛ رواه مسلم.

الدرجة الثانية: أن يقرأها وهو يعقلها، ومتأثر بمعانيها حال قراءتها، وهذه الدرجة تزيد عمّا قبلها بوجود التأثّر من تلك المعاني، حتى يُعرف خشوعه من صوته، ويتأثّر به من سَمِعَه، ويحسب أنه يخشى الله فيها، فيرغب في آيات الوعد، ويرهب من آيات الوعيد.

الدرجة الثالثة: أن يقرأها مُتأثِّرًا غاية التأثر بحقائقها تلك، وهذه الدرجة تزيد عمّا قبلها ببلوغ التأثُّر غايته، وشهود حقائق المعاني بالقلب، حتى كأنَّها رأي عين، ويشعر صاحب هذه الدرجة من الخشوع بتقصير،

وتفريط، فيسأل الله تعالى من فضله راغبًا، ويستعيذ من عذابه راهبًا، يدفعه إلى ذلك تأثّره؛ ولهذا كان النبي صلى الله عليه وسلم في صلاة الليل: "إذا مرَّ بآية فيها تسبيح سبَّح، وإذا مرَّ بسؤال سأل، وإذا مرَّ بتعوُّذ تعوَّذ"؛ رواه مسلم.

ومِن أصحاب هذه الدرجة من قال الله عنهم: ﴿ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ أَنَّهُمْ إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ﴾ [المؤمنون: ٦٠].

الفرق بين خشوع الإيمان وخشوع النفاق: إذا ظهرت آثار الخشوع على الجوارح، ولم يكن في القلب شيء منه، فهذا خشوع النفاق؛ ولهذا قال حذيفة رضي الله عنه: "إياكم وخشوع النفاق"، فقيل له: وما خشوع النفاق؟ قال: "أن ترى الجسد خاشعًا، والقلب ليس بخاشع".

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: "وقال بعض العارفين: حسن أدب الظاهر عنوان أدب الباطن، ورأى بعضهم رجلًا خاشع المنكبين والبدن، فقال: يا فلان، الخشوع ها هنا- وأشار إلى صدره- لا ها هنا- وأشار إلى منكبيه-".

*** *** ***

-17-

هل الصلاة قرة عين لك أخي المصلي؟ [٣/١]

سنبدأ في هذه المقال- بعون الله تعالى- مجموعة من المقالات للإجابة عن سؤال مهم: هل الصلاة قرة عين لك أخي المصلي؟

قبل ذكر الإجابة عن هذا السؤال؟

أقول: لا تكون الصلاة قرة عين للمصلي إلا إذا أكمل أركانها الظاهرة، وأتم خشوعها في باطنه، وكانت هي محلًّا لاهتمامه، وسببًا في راحته واطمئنانه.

ولابن القيم جواب رائع عن هذا السؤال حيث قال رحمه الله تعالى:

أما الإجابة عن السؤال المطروح: فيقول العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: "وَلَيْسَ فِي الدُّنْيَا نعيم يشبه نعيم أهل الْجنَّة إِلَّا هَذَا؛ وَلِهَذَا قَالَ النَّبِي صلى الله عليه وسلم: ((حبب إِلَيّ من دنياكم النِّسَاء وَالطِّيب، وَجُعلت قُرَّة عَيْنِي فِي الصَّلَاة))؛ أخرجه أحمد والنسائي والحاكم، وصححه الألباني في (صحيح الجامع).

وقرة الْعين فَوق الْمحبَّة؛ فَإِنَّهُ لَيْسَ كل مَحْبُوب تقر بِهِ الْعين، وَإِنَّمَا تقر الْعين بِأَعْلَى المحبوبات الَّذِي يُحب لذاته وَلَيْسَ ذَلِك إِلَّا الله الَّذِي لَا إِلَه إِلَّا هُوَ، وكل مَا سواهُ فَإِنَّمَا يحب تبعًا لمحبته، فيُحب لأَجله وَلَا يُحب مَعَه؛ فَإِن الْحبَّ مَعَه شرك، وَالْحب لأَجله تَوْحِيد".

وَالْمَقْصُود أَن مَا تقر بِهِ الْعين أَعلَى من مُجَرّد مَا يُحِبهُ، فَالصَّلَاة قُرَّة عُيُون المحبين فِي هَذِه الدُّنْيَا؛ لما فِيهَا من مُنَاجَاة مَن لَا تقر الْعُيُون وَلَا تطمئِن الْقُلُوب وَلَا تسكن النُّفُوس إِلَّا إِلَيْهِ، والتنعم بِذكرِهِ والتذلل والخضوع لَهُ، والقرب مِنْهُ وَلَا سِيمَا فِي حَال السُّجُود، وَتلك الْحَال أقرب مَا يكون العَبْد من ربه فِيهَا، وَمن هَذَا قَول النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم: ((يَا بِلَال، أَرحْنَا بِالصَّلَاةِ)).

فَأعلَمَ بذلك أَن رَاحَته صلى الله عليه وسلم فِي الصَّلَاة كَمَا أخبر أَن قُرَّة عينه فِيهَا، فَأَيْنَ هَذَا من قَول الْقَائِل: نصلي ونستريح من الصَّلَاة.

فالمحب رَاحَته وقرة عينه فِي الصَّلَاة، والغافل المعرض لَيْسَ لَهُ نصيب من ذَلِك؛ بل الصَّلَاة كَبِيرَة شاقة عَلَيْهِ إِذا قَامَ فِيهَا كَأَنَّهُ على الْجَمْر حَتَّى يتَخَلَّص مِنْهَا، وَأحبُّ الصَّلَاة إِلَيْهِ أعجلها وأسرعها، فَإِنَّهُ لَيْسَ لَهُ قُرَّة عين فِيهَا وَلَا لِقَلْبِهِ رَاحَة بهَا، وَالْعَبْد إِذا قرت عينه بِشَيْء واستراح قلبه بِهِ فأشق مَا عَلَيْهِ مُفَارقَته، والمتكلف الفارغ الْقلب من الله وَالدَّار الْآخِرَة الْمُبْتَلى بمحبة الدُّنْيَا أشق مَا عَلَيْهِ الصَّلَاة، وأكره مَا إِلَيْهِ طولهَا مَعَ تفرغه وَصِحَّته وَعدم اشْتِغَاله.

-18-

هل الصلاة قرة عين لك أخي المصلي؟ [٢/٣]

لا زلنا مع البيان القيّم من العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى للصلاة التي هي قرة عين للمصلي، قال رحمه الله تعالى:

وَمِمَّا يَنْبَغِي أَن يُعلم أَن الصَّلَاة الَّتِي تقر بهَا الْعين ويستريح بهَا الْقلب هِيَ الَّتِي تجمع سِتَّة مشَاهد:

المشهد الأول: الْإِخْلَاص: وَهُوَ أَن يكون الْحَامِل عَلَيْهَا والداعي إِلَيْهَا رَغْبَة العَبْد فِي الله، ومحبته لَهُ، وَطلب مرضاته، والقرب مِنْهُ، والتودد إِلَيْهِ، وامتثال أمره بِحَيْثُ لَا يكون الْبَاعِث لَهُ عَلَيْهَا حظًّا من حظوظ الدُّنْيَا أَلْبَتَّة؛ بل يَأْتِي بهَا ابْتِغَاء وَجه ربه الْأَعْلَى محبَّة لَهُ وخوفًا من عَذَابه ورجاءً لمغفرته وثوابه.

المشهد الثَّانِي: مشْهد الصدْق والنصح: وَهُوَ أَن يفرغ قلبه لله فِيهَا، ويستفرغ جهده فِي إقباله فِيهَا على الله، وَجمع قلبه عَلَيْهَا، وإيقاعها على أحسن الْوُجُوه وأكملها ظَاهرًا وَبَاطنًا، فَإِن الصَّلَاة لَهَا ظَاهر وباطن، فظاهرها الْأَفْعَال الْمُشَاهدَة والأقوال المسموعة، وباطنها الْخُشُوع والمراقبة وتفريغ الْقلب لله والإقبال بكليَّته على الله فِيهَا بِحَيْثُ لَا يلْتَفت قلبه عَنهُ إِلَى غَيره، فَهَذَا بِمَنْزِلَة الرّوح لَهَا، وَالْأَفْعَال بِمَنْزِلَة الْبدن، فَإِذا خلت من

الرّوح كَانَت كبدن لَا روح فِيهِ، أَفلا يستحي العَبْد أَن يواجه سَيّده بِمثل ذَلِك، وَلِهَذَا تُلَفُّ كَمَا يُلف الثَّوْب الْخلق وَيضْرب بهَا وَجه صَاحبهَا، وَتقول: ضيَّعك الله كَمَا ضيعتني. وَالصَّلَاة الَّتِي كمل ظَاهرهَا وباطنها تصعد وَلها نور وبرهان كنور الشَّمْس حَتَّى تعرض على الله فيرضاها ويقبلها، وَتقول: حفظك الله كَمَا حفظتني.

المشهد الثَّالِث: مشْهد الْمُتَابَعَة والاقتداء: وَهُوَ أَن يحرص كل الْحِرْص على الِاقْتِدَاء فِي صلَاته بِالنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم وَيُصلي كَمَا كَانَ يُصَلِّي، ويعرض عَمَّا أحدث النَّاس فِي الصَّلَاة من الزِّيَادَة وَالنُّقْصَان والأوضاع الَّتِي لم يُنْقل عَن رَسُول الله صلى الله عليه وسلم شَيْءٌ مِنْهَا.

فَإِن الله سُبْحَانَهُ إِنَّمَا أَمر بِطَاعَة رَسُوله صلى الله عليه وسلم واتّباعه وَحده وَلم يَأْمر بِاتِّبَاع غَيره، وَإِنَّمَا يطاع غَيره إِذا أَمر بِمَا أَمر بِهِ الرَّسُول صلى الله عَلَيْهِ وَسلم، وكل أحد سوى الرَّسُول صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فمأخوذ من قَوْله ومتروك.

وَقد أقسم الله سُبْحَانَهُ بِنَفسِهِ الْكَرِيمَة أَنَّا لَا نؤمن حَتَّى نُحَكِّم الرَّسُول صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فِيمَا شجر بَيْننَا وننقاد لحكمه ونسلم تَسْلِيمًا.

وَقَالَ النَّبِي صلى الله عليه وسلم: ((أُوحِي إِلَيّ أَنكُمْ بِي تفتنون وعني تسْأَلُون))؛ يَعْنِي: الْمَسْأَلَة فِي الْقَبْر، فَمن انْتَهَت إِلَيْهِ سنة رَسُول الله صلى الله عليه وسلم وَتركهَا لقَوْل أحد من النَّاس فسيرد يَوْم الْقِيَامَة وَيعلم.

*** *** ***

-19-

هل الصلاة قرة عين لك أخي المصلي؟ [٣/٣]

لا زلنا مع البيان القيم من العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى للصلاة التي هي قرة عين للمصلي، قال رحمه الله تعالى:

المشهد الرَّابِع: مشْهد الْإِحْسَان: وَهُوَ مشْهد المراقبة؛ وَهُوَ أَن يعبد الله كَأَنَّهُ يرَاهُ، وَهَذَا المشهد إِنَّمَا ينشأ من كَمَال الْإِيمَان بِاللَّه وأسمائه وَصِفَاته حَتَّى كَأَنَّهُ يرى الله سُبْحَانَهُ فَوق سماواته مستويًا على عَرْشه، يَتَكَلَّم بِأَمْرِه وَنَهْيه، وَيُدبر أَمر الخليقة فَينزل الْأَمر من عِنْده ويصعد إِلَيْهِ، وَتعرض أَعمال الْعباد وأرواحهم عِنْد الموافاة عَلَيْهِ، فَيشْهد ذَلِك كُله بِقَلْبِه وَيشْهد أسماءه وَصِفَاته.

ومشهد الْإِحْسَان أصل أَعمال الْقُلُوب كلهَا فَإِنَّهُ يُوجب الْحيَاء والإجلال والتعظيم والخشية والمحبة والإنابة والتوكل والخضوع لله سُبْحَانَهُ والذل لَهُ، وَيقطع الوسواس وَحَدِيث النَّفس، وَيجمع الْقلب والهمَّ على الله تعالى.

فحظ العَبْد من الْقرب من الله على قدر حَظه من مقَام الْإِحْسَان، وبحسبه تَتَفَاوَت الصَّلَاة حَتَّى يكون بَين صَلَاة الرجلَيْن من الْفضل كَمَا بَين السَّمَاء وَالْأَرْض وقيامهما وركوعهما وسجودهما وَاحِد.

المشهد الْخَامِس: مشْهد الْمِنَّة: وَهُوَ أَن يشْهد أَن الْمِنَّة لله سُبْحَانَهُ كَونه أَقَامَهُ فِي هَذَا الْمقَام، وَأَهَّله لَهُ، ووفَّقه لقِيَام قلبه وبدنه فِي خدمته، فلولا الله سُبْحَانَهُ لم يكن شَيْء من ذَلِك كَمَا كَانَ الصَّحَابَة يحدون بَين يَدي النَّبِي صلى الله عَلَيْهِ وَسلم فَيَقُولُونَ:

وَالله لَوْلَا الله مَا اهتدينا = وَلَا تصدَّقنا وَلَا صلَّينَا

فَالله سُبْحَانَهُ هُوَ الَّذِي جعل الْمُسلم مُسلمًا، وَالْمُصَلي مُصَليًا، قَالَ تعالى: ﴿ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧].

وَهَذَا المشهد من أعظم الْمشَاهد وأنفعها للْعَبد، وَكلما كَانَ العَبْد أعظم توحيدًا كَانَ حَظه من هَذَا المشهد أتم.

المشهد السَّادِس: مشْهد التَّقْصِير: وَأَن العَبْد لَو اجْتهد فِي الْقيام بِالْأَمر غَايَة الِاجْتِهَاد وبذل وَسعه فَهُوَ مقصر وَحقّ الله سُبْحَانَهُ عَلَيْهِ أعظم، وَالَّذِي يَنْبَغِي لَهُ أَن يُقَابل بِهِ من الطَّاعَة والعبودية والخدمة فَوق ذَلِك بِكَثِير، وَأَن عَظمته وجلاله سُبْحَانَهُ يَقْتَضِي من الْعُبُودِيَّة مَا يَلِيق بهَا.

*** *** ***

-20-

من مقاصد الصلاة [١/٣]

سنبدأ في هذه المقال- بعون الله تعالى- مجموعة من المقالات حول مقاصد الصلاة في الشرع الحنيف:

جعل الله عز وجل للعبادات مقاصد وغايات، وحكمًا وأسرارًا، والصلاة هي عمود الإسلام وغرة العبادات، ومن أفضل الأعمال وأحبها إلى الله تعالى، من حافظ عليها حفظه الله وكانت له نورًا وبرهانًا ونجاة يوم القيامة؛ ولذا كانت لها مقاصد جليلة وغايات عظيمة؛ من ذلك ما يأتي:

١/من أعظم مقاصد الصلاة: ذِكْرُ الله عز وجل والتقربُ إليه وتجديد العهد به: المقصود الأعظم للصلاة هو ذكر الله تعالى والتقرب إليه وتجديد العهد به، قال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤].

قال العلامة ابن عاشور في تفسير هذه الآية: "أَيْ: أَقِمِ الصَّلَاةَ لِأَجْلِ أَنْ تَذْكُرَنِي؛ لِأَنَّ الصَّلَاةَ تُذَكِّرُ الْعَبْدَ بِخَالِقِهِ؛ إِذْ يَسْتَشْعِرُ أَنَّهُ وَاقِفٌ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ لِمُنَاجَاتِهِ، فَفِي هَذَا الْكَلَامِ إِيمَاءٌ إِلَى حِكْمَةِ مَشْرُوعِيَّةِ الصَّلَاةِ".

لذلك اشتملت الصلاة من أعمال القلوب والألسن والجوارح فرضًا وندبًا على ما لم يشتمل عليه غيرها؛ كل ذلك ليتفرغ المكلف للإقبال عليها؛ لأن مقصودها تجديد العهد بالله؛ ولذلك جعلت لها مواقيت متقاربة لئلا يبعد عهد العبد بذكر الله.

٢/ تعظيم الله عز وجلّ: من مقاصد الصلاة تعظيم الله عز وجل وتبجيله؛ ولذلك اشتملت الصلاة على أعلى أنواع التعظيم من دعاء وتلاوة وركوع وسجود وتكبير وتحميد وتسبيح.

والإسلام كله قائم على أمرين كبيرين:

أحدهما: تعظيم الله الخالق، وأعظم مظهر لتعظيم الخالق هو أداء العبادات؛ كالذكر والصيام، وأفضل العبادات إقامة الصلاة.

الثاني: الشفقة على المخلوق، ويظهر هذا في أداء الزكاة وإخراج الصدقات وإغاثة الملهوف والإحسان إلى الجيران وإكرام الضيفان ونحو هذا، مما فيه نفع للمخلوقين.

٣/ من مقاصد الصلاة الخضوع والانقياد لله تعالى: وذلك لما تشتمل عليه من أحكام تعبُّدية مثل: الطهارة والقيام والركوع والسجود والأوقات وعدد الركعات، بذلك يتعلَّم المسلم الخضوع والانقياد لأمر الله تعالى سواء عَلِم الحكمة من الأمر أم لم يعلمها.

*** *** ***

-21-

من مقاصد الصلاة [٢/٣]

لا زال الحديث متصلًا- بعون الله تعالى- في بيان المقاصد التي من أجلها شرع الله الصلاة:

٤/ من مقاصد الصلاة تزكية النفس: التزكية هي التطهير والزيادة والنماء في الخير، فالنفس تطهر وتنمو وتكبر بالطاعات وفعل الخيرات، وتدنس وتصغر وتحقر بالذنوب والمعاصي والتهالك على الشهوات والملذات، والدليل على ذلك قوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢].

والصلاة من أعظم العبادات التي تطهر النفس وتزكيها، وتجعل للمسلم روحًا زكية ونفسًا مطمئنة.

٥/ من مقاصد الصلاة النهي عن الفحشاء والمنكر وتهذيب الأخلاق: الصلاح النفساني والنهي عن الفحشاء والمنكر وتهذيب الأخلاق مقصد من مقاصد الصلاة وثمرة من ثمراتها.

٦/ الصلاة غذاء للروح: خلق الله الإنسان من جسد وروح، وجعل لكل منها غذاء، ولما كان الجسد أصله من الأرض جعل الله غذاءه ما يخرج من الأرض، ولما كانت الروح من أمر الله، قال تعالى: ﴿ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٢٩] جعل غذاءها في ذكره سبحانه والاتصال به.

وأعظم العبادات التي تحتوي على ذكر لله تعالى هي الصلاة، فهي صلة بين العبد وربه، وقد قال تعالى: ﴿ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾ [طه: ١٤] وقال تعالى: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق: ١٩]، وقال صلى الله عليه وسلم: ((أَقْرَبُ ما يَكونُ العَبْدُ مِن رَبِّهِ وهو ساجِدٌ؛ فأكْثِرُوا الدُّعاءَ))؛ رواه مسلم.

يقول العلامة ابن القيم رحمه الله: "فاعلم أنه لا ريب أن الصلاة قرة عُيون المحبين، ولذة أرواح الموحدين، وبستان العابدين، ولذة نفوس الخاشعين، ومحك أحوال الصادقين، وميزان أحوال السالكين، وهي رحمةُ الله المهداة إلى عباده المؤمنين، ولما امتحن الله سبحانه عبده بالشهوة وأشباهها من داخل فيه وخارج عنه، اقتضت تمام رحمته به وإحسانه إليه أن هيَّأ له مأدبة قد جمعت من جميع الألوان والتحف والخلع والعطايا، ودعاه إليها كل يوم خمس مرَّات، وجعل في كل لون من ألوان تلك المأدبة لذةً ومنفعةً ومصلحةً ووقارًا لهذا العبد".

*** *** ***

-22-

من مقاصد الصلاة [٣/٣]

ما زال الحديث متصلًا- بعون الله تعالى- في بيان المقاصد التي من أجلها شرع الله الصلاة:

٧/ الصلاة جلاء للهموم والأحزان: من ثمرات الصلاة أنها تجلي الهموم وتذهب الأحزان، يقول العلامة ابن عاشور: "عَلَى أَنَّ فِي الصَّلَاة سرًّا إلهيًّا لَعَلَّه ناشئ عَنْ تَجَلِّي الرِّضْوَانِ الرَّبَّانِيّ عَلَى الْمُصَلِّي؛ فَلِذَلِكَ نَجِدُ لِلصَّلَاةِ سِرًّا عَظِيمًا فِي تَجْلِيَةِ الْأَحْزَانِ وَكَشْفِ غَمّ النَّفْس".

قال ابن رشد رحمه الله: "فالعبادات هي أدوية لأمراض القلوب، وإن الله تعالى أنزلها رحمة للعباد وصقالًا لمرآة قلوبهم؛ ليتوصلوا بذلك إلى محل أنسه، وسكنهم في حظيرة قدسه".

ولذلك أمرنا الله تعالى بالاستعانة بها في الشدائد، فقال تعالى: ﴿ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣].

وفي هذا يروي الإمام أحمد في مسنده عن عبدالله بن محمد بن الحنفية قال: "دخلت مع أبي بكر على صهر لنا من الأنصار، فحضرت الصلاة، فقال: يا جارية، ائتيني بوضوء لعلي أصلي فأستريح، فرآنا أنكرنا ذلك عليه، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((قم يا بلال، فأرحنا بالصلاة)).

وروى أحمد أيضًا عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا حزبه أمر- أي: نزل به- صلى"، ومن ذلك أيضًا قوله صلى الله عليه وسلم: ((وجعلت قرة عيني في الصلاة)).

وقال ابن عاشور رحمه الله: "الصلاة تشتمل على مذكرات بالله من أقوال وأفعال من شأنها أن تكون للمصلي كالواعظ المذكر بالله تعالى .. ففي الصلاة من الأقوال تكبير لله وتحميده وتسبيحه والتوجه إليه بالدعاء والاستغفار، وقراءة فاتحة الكتاب المشتملة على التحميد، والثناء على الله، والاعتراف بالعبودية له، وطلب الإعانة والهداية منه، واجتناب ما يغضبه، وما هو ضلال، وكلها تذكر بالتعرض إلى مرضاة الله، والإقلاع عن عصيانه وما يفضي إلى غضبه، فذلك صد عن الفحشاء والمنكر".

*** *** ***

-23-

الأسباب الجالبة للخشوع في الصلاة [١/ ٤]

للعلامة ابن القيم كلام غاية في الأهمية في بيان تلك الأسباب حيث قال رحمه الله تعالى: "وسرُّ الصلاة وروحها ولبُّها، هو إقبال العبد على الله بكليّته فيها، فكما أنه لا ينبغي أن يصرف وجهه عن القبلة إلى غيرها فيها، فكذلك لا ينبغي له أن يصرف قلبه عن ربِّه إلى غيره فيها؛ بل يجعل الكعبة التي هي بيت الله . قبلة وجهه وبدنه، ورب البيت تبارك وتعالى قبلة قلبه وروحه، وعلى حسب إقبال العبد على الله في صلاته، يكون إقبال الله عليه، وإذا أعرضَ أعرض الله عنه، كما تدين تُدان".

وللإقبال على الله في الصلاة ثلاث منازل:

الأول: إقبال العبد على قلبه فيحفظه ويصلحه من أمراض الشهوات والوساوس، والخطرات المبطلة لثواب صلاته أو المنقصة لها.

الثاني: إقباله على الله بمراقبته فيها حتى يعبده كأنه يراه.

الثالث: إقباله على معاني كلام الله، وتفاصيله وعبودية الصلاة ليعطيها حقها من الخشوع والطمأنينة وغير ذلك. فباستكمال هذه المراتب الثلاث يكون قد أقام الصلاة حقًّا، ويكون إقبال الله على المصلي بحسب ذلك.

كيف يكون الإقبال في كل جزء من أجزاء الصلاة: فإذا انتصب العبد قائمًا بين يديه، فإقباله على قيُّومية الله وعظمته فلا يتفلت يَمْنةً ولا يَسْرةً، وإذا كبَّر الله تعالى كان إقباله على كبريائه وإجلاله وعظمته، وكان إقباله على الله في استفتاحه على تسبيحه والثناء عليه وعلى سُبحات وجهه، وتنزيهه عمَّا لا يليق به، ويثني

عليه بأوصافه وكماله، فإذا استعاذ بالله من الشيطان الرجيم، كان إقباله على ركنه الشديد، وسلطانه وانتصاره لعبده، ومنعه له منه وحفظه من عدوه.

وإذا تلا كلامه كان إقباله على معرفته في كلامه كأنه يراه ويشاهده في كلامه كما قال بعض السلف: "لقد تجلّى الله لعباده في كلامه".

والناس في ذلك على أقسام، ولهم في ذلك مشارب وأذواق؛ فمنهم: البصير، والأعور، والأعمى، والأصم، والأعمش، وغير ذلك، في حال التلاوة والصلاة، فهو في هذه الحال ينبغي له أن يكون مقبلًا على ذاته وصفاته وأفعاله وأمره ونهيه وأحكامه وأسمائه.

-24-

الأسباب الجالبة للخشوع في الصلاة [٢/٤]

يبين العلامة ابن القيم رحمه الله حال المصلي في الركوع والسجود والجلوس والتشهد فيقول:

وإذا ركع كان إقباله على عظمة ربه، وإجلاله وعزه وكبريائه؛ ولهذا شرع له في ركوعه أن يقول: ((سبحان ربي العظيم))، فإذا رفع رأسه من الركوع كان إقباله على حمد ربه والثناء عليه وتمجيده وعبوديته له وتفرده بالعطاء والمنع. فإذا سجد، كان إقباله على قربه، والدنو منه، والخضوع له والتذلل له، والافتقار إليه والانكسار بين يديه، والتملق له.

فإذا رفع رأسه من السجود جثا على ركبتيه، وكان إقباله على غنائه وجوده، وكرمه وشدة حاجته إليه، وتضرعه بين يديه والانكسار؛ أن يغفر له ويرحمه، ويعافيه ويهديه ويرزقه.

فإذا جلس في التشهد فله حال آخر، وإقبال آخر يشبه حال الحاج في طواف الوداع، واستشعر قلبه الانصراف من بين يدي ربه إلى أشغال الدنيا والعلائق والشواغل التي قطعه عنها الوقوف بين يدي ربه وقد ذاق قلبه التألم والعذاب بها قبل دخوله في الصلاة.

فباشر قلبه روح القرب، ونعيم الإقبال على الله تعالى، وعافيته منها وانقطاعها عنه مدة الصلاة، ثم استشعر قلبه عوده إليها بخروجه من حمى الصلاة، فهو يحمل همَّ انقضاء الصلاة وفراغه منها ويقول: ليتها اتصلت بيوم اللقاء.

ويعلم أنه ينصرف من مناجاة مَنْ كلُّ السعادة في مناجاته، إلى مناجاة من كان الأذى والهم والغم والنكد في مناجاته، ولا يشعر بهذا وهذا إلا مَنْ قلبه حي معمور بذكر الله ومحبته، والأنس به، ومن هو عالم بما في

مناجاة الخلق ورؤيتهم، ومخالطتهم من الأذى والنكد، وضيق الصدر وظلمة القلب، وفوات الحسنات، واكتساب السيئات، وتشتيت الذهن عن مناجاة الله عز وجل.

الأسباب الجالبة للخشوع [٣/٤]

لكي تخشع في الصلاة- أخي المصلي- عليك أن تحذر الالتفات في الصلاة، يقول العلامة ابن القيم رحمه الله:

الالتفات المنهي عنه في الصلاة قسمان:

أحدهما: التفات القلب عن الله عز وجل إلى غير الله تعالى.

الثاني: التفات البصر، وكلاهما منهي عنه، ولا يزال الله مقبلًا على عبده ما دام العبد مقبلًا على صلاته، فإذا التفت بقلبه أو بصره، أعرض الله تعالى عنه.

وقد سئل رسول الله عن التفات الرجل في صلاته فقال: ((اختلاس يختلسه الشيطان من صلاة العبد))؛ رواه البخاري .

وفي الأثر: يقول الله تعالى: ((إلى خير مني، إلى خير مني؟))، ومَثَل من يلتفت في صلاته ببصره أو بقلبه، كمثل رجل قد استدعاه السلطان، فأوقفه بين يديه، وأقبل يناديه ويخاطبه، وهو في خلال ذلك يلتفت عن السلطان يمينًا وشمالًا، وقد انصرف قلبه عن السلطان، فلا يفهم ما يخاطبه به؛ لأن قلبه ليس حاضرًا معه، فما ظن هذا الرجل أن يفعل به السلطان، أفليس أقل المراتب في حقه أن ينصرف من بين يديه ممقوتًا مبعدًا، قد سقط من عينيه؟

فهذا المصلي لا يستوي والحاضر القلب المقبل على وجه الله تعالى في صلاته الذي قد أشعر قلبه عظمة من هو واقف بين يديه، فامتلأ قلبه من هيبته، وذلت عنقه له، واستحيا من ربه تعالى أن يقبل على غيره.

أو يلتفت عنه، وبين صلاتيهما كما قال حسان بن عطية: "إن الرجلين ليكونان في الصلاة الواحدة، وأن ما بينهما في الفضل كما بين السماء والأرض"؛ (رواه عبدالله بن المبارك في كتاب الزهد والرقائق) وذلك أن أحدهما مقبل بقلبه على الله عز وجل، والآخر ساهٍ غافل. فإذا أقبل العبد على مخلوق مثله، وبينه وبينه حجاب، لم يكن إقبالًا ولا تقريبًا، فما الظن بالخالق عز وجل؟

وإذا أقبل على الخالق عز وجل وبينه وبينه حجاب الشهوات والوساوس، والنفس مشغوفة بها، ملأى منها، فكيف يكون ذلك إقبالًا وقد ألهته الوساوس والأفكار، وذهبت به كل مذهب؟!

*** *** ***

الأسباب الجالبة للخشوع في الصلاة [٤/٤]

نواصل حديثنا في هذا المقال- بعون الله تعالى- عن الأسباب الجالبة للخشوع (ونسأل الله أن يرزقنا وإياكم الخشوع له تعالى في صلواتنا كلها):

وما زلنا مع ابن القيم رحمه الله في بيان الخشوع في الصلاة حيث يقول:

والعبد إذا قام في الصلاة غار الشيطان منه، فإنه قد قام في أعظم مقام، وأقربه وأغيظه للشيطان، وأشده عليه، فهو يحرص ويجتهد كل الاجتهاد أن لا يقيمه فيه؛ بل لا يزال به يعده ويمنّيه وينسيه، ويجلب عليه بخيله ورجله حتى يهوِّن عليه شأن الصلاة، فيتهاون بها فيتركها. فإن عجز عن ذلك منه، وعصاه العبد، وقام في ذلك المقام، أقبل عدو الله تعالى حتى يخطر بينه وبين نفسه، ويحول بينه وبين قلبه، فيذكِّره في الصلاة ما لم يكن يذكر قبل دخوله فيها، حتى ربما كان قد نسي الشيءء والحاجة، وأيس منها، فيذكره إياها في الصلاة ليشغل قلبه بها، ويأخذه عن الله عز وجل، فيقوم فيها بلا قلب، فلا ينال من إقبال الله تعالى وكرامته وقربه ما يناله المقبل على ربه عز وجل الحاضر بقلبه في صلاته.

فينصرف من صلاته مثل ما دخل فيها بخطاياه وذنوبه وأثقاله، لم تخفف عنه بالصلاة، فإن الصلاة إنما تكفر سيئات من أدَّى حقَّها، وأكمل خشوعها، ووقف بين يدي الله تعالى بقلبه وقالبه.

فهذا إذا انصرف منها وجد خفة من نفسه، وأحس بأثقال قد وضعت عنه، فوجد نشاطًا وراحة وروحًا، حتى يتمنى أنه لم يكن خرج منها؛ لأنها قرة عينه ونعيم روحه، وجنة قلبه، ومستراحه في الدنيا، فلا يزال كأنه في سجن وضيق حتى يدخل فيها، فنستريح بها، لا منها، فالمحبون يقولون: نصلي فنستريح بصلاتنا، كما قال إمامهم وقدوتهم ونبيهم صلى الله عليه وسلم: ((يا بلال أرحنا بالصلاة))؛ رواه أحمد وصححه الألباني .

وقال صلى الله عليه وسلم: ((جُعلت قرة عيني في الصلاة)) فمن جعلت قرة عينه في الصلاة، كيف تقر عينه بدونها، وكيف يطيق الصبر عنها؟ فصلاة هذا الحاضر بقلبه الذي عينه في الصلاة، هي التي تصعد ولها نور وبرهان، حتى يستقبل بها الرحمن عز وجل، فتقول: ((حفظك الله كما حفظتني))، وأما صلاة المفرط المضيع لحقوقها وحدودها وخشوعها، فإنها تلفُّ كما يلفُّ الثوبُ الخلق، ويضرب بها وجه صاحبها وتقول: ((ضيعك الله كما ضيعتني)).

فالصلاة المقبولة، والعمل المقبول أن يصلي العبد صلاة تليق بربه عز وجل، فإذا كانت صلاة تصلح لربه تبارك وتعالى وتليق به، كانت مقبولة.

*** *** ***

روحانيات المصلي عند سماعه الأذان [٣/١]

نبدأ حديثنا في هذا المقال- بعون الله تعالى - عن روحانيات المصلي عند سماعه الأذان:

* يكون صاحبنا جالسًا قبل الأذان في بيته أو مكتبه أو مع أصدقائه أو في حالة من الانسجام في العمل أو تجاذب أطراف الحديث مع إخوانه- أو امرأة مع صويحباتها - فيسمع صوت المؤذن ينادي: الله أكبر.. الله أكبر.. أشهد ألا إله إلا الله... بصوت عالٍ... ما هو الشعور الذي يعتري صاحبنا يا ترى؟ وما الذي يجول في خاطره؟ فرح وسرور أو همٌّ ثقيل... الناس في هذا يختلفون كل على حسب إيمانه وحبه لربه.

* المهم أن من روحانيات صاحبنا عند سماع الأذان أنه: سيفرح وتغمره السعادة بسماعه للأذان؛ لأنه تذكر أنه سيقوم لمناجاة ربه الذي يحبه، وسيفارق مجلسه الذي قد يضيق فيه صدره من كثرة ما يسمع من كلام فارغ، وربما غيبة أو نميمة، وأيضًا لأنه سيدخل في عمل صالح هو قرة عينه... سيقوم لإقامة الصلاة.. نعم لإقامة الصلاة لا لأدائها؛ ولذا سيتابع المؤذن ويدعو بعده بالدعاء المأثور- كما سيأتي- وهنا قلبه يشعر باشتياقه للانتقال من التحدث مع المخلوقين إلى التحدث مع الخالق جل وعلا فأين هذا من هذا؟!

* قال حجة الإسلام الغزالي رحمه الله تعالى في هذا المقام: "فإذا سمعت نداء المؤذن فأحضر في قلبك هول النداء يوم القيامة، وتشمر بظاهرك وباطنك للإجابة والمسارعة؛ فإن المسارعين إلى هذا النداء هم الذين ينادون باللطف يوم العرض الأكبر، فاعرض قلبك على هذا النداء فإن وجدته مملوءًا بالفرح والاستبشار، مشحونًا بالرغبة إلى الابتدار؛ فاعلم أنه يأتيك النداء بالبُشرى والفوز يوم القضاء؛ ولذلك قال صلى الله عليه وسلم: ((أرحنا بها يا بلال))؛ أخرجه أحمد وأبو داود.

* وأعلى من صاحبنا هذا درجة- في روحانياته - الذي يكون قد دخل المسجد قبل الأذان، فهو يشهد مِنَّة الله تعالى عليه حيث وفَّقه لسماع الأذان وهو في بيته سبحانه فأصبح داعيًا لا مدعوًّا؛ ولذا قال بعضهم: الأذان لتنبيه الغافلين وأما الذاكرون فهم يدخلون بيت الله قبل أن يُناديهم المنادي.

فليت شعري كيف ستكون متابعة هذا الذي دخل المسجد قبل الأذان؟! أهي هي كتلك التي ممن سمع النداء وهو خارج المسجد، لا شك أنها ستختلف.

*** *** ***

روحانيات المصلي عند سماعه الأذان [٣/٢]

نتابع- بعون الله تعالى- تلك الروحانيات التي يجدها المستمع للنداء قائلين:

* ومن روحانيات المسلم عند سماع الأذان: أن يتابع المؤذن فيقول مثل ما يقول، ففي المسند وصحيح البخاري وغيرهما عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آتِ محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة)).

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((.. ثم قال: حي على الصلاة، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: حي على الفلاح، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: الله أكبر الله أكبر، قال: الله أكبر الله أكبر، ثم قال: لا إله إلا الله، قال: لا إله إلا الله، من قلبه دخل الجنة))؛ صحيح مسلم.

فعُلم من هذا الحديث أن متابعة الأذان ليس في كل جمل الأذان كما يسمعها بل هناك بعض التغيير، فإذا نُودي لهذا الأمر العظيم ((حي الصلاة.. حي على الفلاح)) هذا الذي لا يستطيعه المسلم بمفرده إلا بإعانة الله جل وعلا، فأظهر عجزه وفقره بقوله: ((لا حول ولا قوة إلا بالله))، لا حول لنا ولا قوة ولا قدرة إلا بإعانة الله جل وعلا، وهذا اعتراف بالعجز والضعف.

* ومن روحانيات المسلم بعد الانتهاء من متابعة المؤذن: أن يقول- بعد تشهُّد المؤذن-: ((وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمدًا عبْدُه ورسولُه، رضيت بالله ربًّا وبمحمدٍ رسولًا وبالإسلام دينًا))؛ لما ورد عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((من قال حين يسمع المؤذن: أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأنَّ محمدًا عبدُه ورسولُه، رضيت بالله ربًّا وبمحمدٍ رسولًا وبالإسلام دينًا، غفر له ذنبه))؛ صحيح مسلم.

- ثم يصلي على النبي صلى الله عليه وسلم، فيقول: ((اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمد كما صليت على إبراهم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد)).

- ثم يلهج بالدعاء آنف الذكر: ((اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة، آتِ محمدًا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقامًا محمودًا الذي وعدته))؛ رواه البخاري.

*** *** ***

روحانيات المصلي عند سماعه الأذان [٣/٣]

نتابع- بعون الله تعالى- تلك الروحانيات التي يجدها المستمع للنداء قائلين:

*ولا تكتمل للمسلم المتعة والروحانيات بتلك المتابعة للنداء ولا بذلك الدعاء إلا إذا فهم المعاني، وإليك شرحها مختصرًا لها:

المراد بالدعوة التامة هي الأذان؛ لأنه دعوة، ووصفها بالتامة؛ لاشتمالها على تعظيم الله، وتوحيده، والشهادة بالرسالة، والدعوة إلى الخير.

والصلاة القائمة: هي الصلاة المعهودة المدعو إليها. والمشار إليه (هذه) ليتصوره الإنسان في ذهنه؛ لأنك عندما تسمع الأذان تتصور أن هناك صلاة، والقائمة: قال العلماء: التي ستُقام، فهي قائمة باعتبار ما سيكون.

آتِ محمدًا الوسيلة: والوسيلة هنا هي المنزلة العلية في الجنة؛ لحديث عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ثم سلوا الله لي الوسيلة، فإنها منزلة في الجنة لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله، وأرجو أن أكون أنا هو، فمن سأل لي الوسيلة حلت له الشفاعة))؛ رواه مسلم.

لكن لو قال قائل: إذا كانت الوسيلة حاصلةً لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فما الفائدة من أن ندعو الله له بها؟ فالجواب: لعلَّ من أسباب كونها له دُعاء النَّاس له بذلك، وإن كان صلى الله عليه وسلم أحقَّ الناس بها، ولأن في ذلك تكثيرًا لثوابنا، وتذكيرًا لحقِّه علينا.

والفضيلة: من الفضل وهو الزيادة، تقول: هذا شيء فاضل- يعني: زائد- ليس له حد، ومنه: فضل الماء- أي: باقي الماء- فالفضيلة هي الفاضل، والمعنى: أعطِ نبيَّنا محمدًا صلى الله عليه وسلم الفضل في كل شيء، والعلو في الدرجات، فهو علو في الدنيا، وعلو في موقف القيامة، وعلو في الآخرة: علو في الحياة وفي الممات بحق تلك إحدى المعجزات، فأعطى الله تعالى محمدًا صلى الله عليه وسلم الفضل والعلو في الدارين، بل في الدور كلها، ((آتِ نبينا محمدًا الوسيلة والفضيلة)) وبعضهم يزيد: "والدرجة العالية الرفيعة"، وهذا لم يَرِدْ في الحديث.

* من روحانيات المسلم عند سماع الأذان: أن يسأل ربه ويدعوه بما يحب من خيرَي الدنيا والآخرة، فالدعاء عند الأذان مستجاب؛ لما ورد عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا ثُوِّب بالصلاة فتحت أبواب السماء واستجيب الدعاء))؛ رواه أحمد، وحسَّنه الألباني.

والتثويب: إقامة الصلاة.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إذا كان عند الأذان فتحت أبواب السماء واستجيب الدعاء، وإذا كان عند الإقامة لم ترد دعوة))؛ رواه عبد الرزاق في المصنف، وروى عبد الرزاق أيضًا عن محارب عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان يأمر بالدعاء عند أذان المؤذنين.

*** *** ***

-30-

من روحانيات الوضوء [١/٢]

نبدأ حديثنا في هذا المقال - بعون الله تعالى - عن روحانيات الوضوء وذلك ببيان فضائله:

* الوضوء هو مِفْتاح الصلاة كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((مِفتاح الصلاة الطهور، وتحريمها التكبير، وتحليلها التسليم))؛ أخرجه أبو داود. والترمذي، وابن ماجه.

*والوضوء من مكفِّرات الخطايا، فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((من توضَّأ فأحسن الوضوء خرجت خطاياه من جسده حتى تخرج من تحت أظفاره))؛ رواه مسلم.

* فمن روحانيات الوضوء استحضار كونه عبادة وليس مجرد تنظيف للأعضاء بل إن النبي صلى الله عليه وسلم أخبر بعظيم أجره فقال: ((الطهور شطر الإيمان))؛ رواه مسلم، فجعل ثواب الوضوء يساوي نصف ثواب الصلاة؛ لأن الإيمان هنا المراد منه الصلاة كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣].

* ومن علم أنه عبادة وجب عليه إحضار القلب عنده وطلب الأجر من فعله، وهذا يقتضي عدم الكلام بغير ذكر الله أو الضحك أو ما شاكل ذلك في أثنائه، وعلى المؤمن أن يحاول أن يجعل الوضوء كفَّارة لذنوبه كما ورد في قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((إِذَا تَوَضَّأَ العَبْدُ المسْلِمُ - أَوِ المؤْمِنُ - فَغَسَلَ وَجْهَهُ، خَرَجَ مِنْ وَجْهِهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ نَظَرَ إِلَيْهَا بِعَيْنَيْهِ مَعَ الماءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الماءِ - فَإِذَا غَسَلَ يَدَيْهِ خَرَجَ مِنْ يَدَيْهِ كُلُّ خَطِيئَةٍ كَانَ بَطَشَتْهَا يَدَاهُ مَعَ الماءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الماءِ - فَإِذَا غَسَلَ رِجْلَيْهِ خَرَجَتْ كُلُّ خَطِيئَةٍ مَشَتْهَا رِجْلاهُ مَعَ الماءِ - أَوْ مَعَ آخِرِ قَطْرِ الماءِ - حَتَّى يَخْرُجَ نَقِيًّا مِنَ الذُّنُوبِ))؛ أخرجه مسلم.

* ومن روحانيات المسلم عند الوضوء استحضار ذنوبه والتوبة منها واستحضار مغفرتها فيا ترى كم سيجعلك ذلك الحضور مع معاني الحديث آنف الذكر - أيها المتوضئ - خاضعًا متذللًا لله تعالى راجيًا منه

أن يحقق فيك كلام نبيه صلى الله عليه وسلم حتى تخرج بعد فراغك من الوضوء من ذنوبك كيوم ولدتك أُمُّك.

* وفي هذا المقام يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: "فبالوضوء يتطهَّر من الأوساخ، ويُقدم على ربِّه متطهرًا، والوضوء له ظاهر وباطن: فظاهره: طهارة البدن وأعضاء العبادة، وباطنه وسرُّه: طهارة القلب من أوساخ الذنوب والمعاصي وأدرانه بالتوبة؛ ولهذا يقرن تعالى بين التوبة والطهارة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وشرع النبي صلى الله عليه وسلم للمتطهِّر أن يقول بعد فراغه من الوضوء أن يتشهَّد ثم يقول: ((اللهم اجعلني من التوّابين، واجعلني من المتطهرين)) فكمَّل له مراتب العبدية والطهارة، باطنًا وظاهرًا، فإنه بالشهادة يتطهر من الشرك، وبالتوبة يتطهر من الذنوب، وبالماء يتطهر من الأوساخ الظاهرة"؛ ا هـ.

*** *** ***

-31-

من روحانيات الوضوء [٢/٢]

للوضوء روحانيات يجدها المسلم الذي يستحضر كون الوضوء عبادة من أجلِّ العبادات المكفِّرة للسيئات:

* ومن روحانيات المتوضئ عندما تكسل نفسه وتدعوه إلى تسويف الوضوء أو عدم إحسانه في صلاتي الفجر والعشاء- أيام البرد الشديد- أو صلاتي الظهر والعصر- أيام الحر الشديد- أن يستحضر ما ورد من قول خير البشر صلى الله عليه وسلم: ((ألا أدلكم على ما يمحو الله به الخطايا ويرفع به الدرجات))، قالوا: بلى يا رسول الله، قال: ((إسباغ الوضوء على المكاره، وكثرة الخُطا إلى المساجد، وانتظار الصلاة بعد الصلاة، فذلكم الرباط، فذلكم الرباط))؛ رواه مسلم.

ومعنى قوله صلى الله عليه وسلم: ((إسباغ الوضوء على المكاره)) كما بينه العلماء: أن الإنسان يتوضأ وضوءه على كره منه، إما لكونه فيه حمى ينفر من الماء فيتوضأ على كره، وإما أن يكون الجو باردًا وليس عنده ما يسخن به الماء فيتوضأ على كره، وإما أن يكون هناك أمطار تحول بينه وبين الوصول لمكان الوضوء فيتوضأ على كره، المهم أنه يتوضأ على كره ومشقة، لكن من دون ضرر، أما مع الضرر فلا يتوضأ بل يتيمَّم، هذا مما يمحو الله به الخطايا، ويرفع به الدرجات.

وقد بيَّن أهل العلم أن ذلك لا يعني قصد المشقة وتطلبها، فالمشقَّات ليست من مقاصد الشريعة ولا من مراد الشارع، ولكن إذا لم يتيسَّر سبيل العبادة إلا بوقوع المشقة، فيعظم الأجر في هذه الحالة، وفرق بين الأمرين.

* ومن روحنايات المتوضئ ألا يغفل عن الدعاء بعد الانتهاء منه فيقول ما ورد عن عُمَر بْنِ الخَطَّابِ رضي اللَّه عَنْهُ عنِ النَّبِيِّ صَلّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم قَالَ: ((ما مِنْكُمْ مِنْ أَحدٍ يتوضَّأُ فَيُبْلِغُ- أَو فَيُسْبِغُ- الوُضُوءَ ثُمَّ قَالَ: أَشْهدُ أَنْ لا إِله إِلَّا اللَّه وحْدَه لا شَريكَ لهُ، وأَشْهدُ أَنَّ مُحمَّدًا عبْدُهُ وَرسُولُه، إِلَّا فُتِحَت لَهُ أَبْوابُ الجنَّةِ الثَّمَانِيَةُ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّها شاءَ))؛ رواه مسلم. وزاد الترمذي: ((اللَّهُمَّ اجْعلْنِي من التَّوَّابِينَ واجْعلْني مِنَ المتَطَهِّرِينَ)).

* ومن الروحانيات التي يشعر بها المتوضئ بعد فراغه من الوضوء: ما قاله ابن القيم رحمه الله تعالى: "فشرع له أكمل مراتب الطهارة قبل الدخول على الله عز وجل، والوقوف بين يديه، فلما طَهر ظاهرًا وباطنًا، أُذِن له بالدخول عليه بالقيام بين يديه؛ وبذلك يخلص من الإباق، وبمجيئه إلى داره، ومحل عبوديته يصير من جملة خدمه؛ ولهذا كان المجيء إلى المسجد من تمام عبودية الصلاة الواجبة عند قوم والمستحبة عند آخرين".

*** *** ***

-32-

من روحانيات المسلم في مشيه إلى المسجد [١/٦]

سنبدأ في هذه المقال- بعون الله تعالى- مجموعة من المقالات والكلام حول روحانيات المسلم في مشيه إلى المسجد:

نحن في كل يوم نخرج من بيوتنا لتحقيق عدد من الأهداف.. فنخرج مثلًا للوظيفة أو لزيارة صديق أو لصلة رحم أو لشراء سلعة أو لقضاء مصلحة في دائرة حكومية.. فهل في هذه المشاوير كلها نخرج من البيت وفي دواخلنا نفس الإحساس.. لا أظن ذلك؛ فالذي يخرج لقضاء مصلحة في دائرة حكومية لا يكون شعوره هو هو عندما يخرج ناويًا زيارة أحد أرحامه، وهكذا يختلف الشعور ما بين مشوار وآخر.

وهنا أطرح هذا السؤال: ما هو شعورك عندما تخرج قاصدًا بيت الله تعالى لأداء فريضة من فرائضه سبحانه؟

ينبغي أن تعلو وجهك الابتسامة وأن ينشرح صدرك؛ لأن هذا أهم مشوار تذهب إليه في حياتك، كيف لا؟ وأنت ستدخل بيت الله تعالى وتقف بين يديه وتناجيه، وتبثُّ إليه شكواك، وتتضرع إليه وتسأله حوائجك، وتطلب منه إزالة همِّك وتفريج كَرْبِك.

بناءً على ما سبق أقول: كان لا بد من وجود روحانيات لدى المسلم وهو خارج إلى بيت الله تعالى، وهذا ما سيتضح من خلال النقاط الآتية:

- بعد أن يحقق المسلم الطهارة على الوجه المذكور من التطيب والتزيُّن ولُبْس أجمل الثياب عملًا بقول الله تعالى: ﴿ يَابَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ﴾ [الأعراف: ٣١] وبقوله صلى الله عليه وسلم: ((إن الله جميل يحب الجمال))؛ رواه مسلم.

فيُستحب التجمل عند الصلاة ولا سيما يوم الجمعة ويوم العيد، وكذا يستحب التطيب لأنه من الزينة.

- ثم إن المسلم يخرج إلى بيت الله تعالى مهما كان الجو؛ إذ إنه من حق الله تعالى عليه أن يمشي إليه زائرًا له تعالى في بيته في الحر والبرد، وفي حال قوته وضعفه، ونشاطه وكسله.

- فمن روحانيات المسلم عند مشيه هذا أن يعلم يقينًا أنه يزور الله تعالى الملك الرحمن الرحيم.. نعم أنا أقصدها إنه يزور ربه جل وعلا فقد أخبرنا بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فقال: ((من توضَّأ في بيته فأحسن الوضوء، ثم أتى المسجد فهو زائر الله تعالى، وحق على المزور أن يكرم زائره))؛ رواه الطبراني، وصحح الهيثمي والسيوطي سنده، وحسنه الشيخ الألباني، لكن مع الأسف الشديد بعض المصلين يذهب للمسجد بملابس نومه، وقد نسي أنه يقف أمام ربه ومولاه!

*** *** ***

-33-

من روحانيات المسلم في مشيه إلى المسجد [٢/٦]

نتابع بعون الله تعالى ما بدأناه من روحانيات المسلم في ذهابه إلى بيت ربه تعالى، ووقفنا مع أهمية حسن المظهر.

قال أحدهم: صليت ذات يوم في المسجد ولاحظت أن أحد المصلين جاء إلى الصلاة بملابس النوم، فلما خرج من المسجد خرجتُ وراءه وقلت له: تفضل عندنا في البيت لنشرب الشاي؟ فاعتذر وقال لي: (أنا مش جاهز لزيارتك)، فقلت له: كيف رضيت لنفسك أن تأتي إلى بيت الله بهذه الملابس وتستحي أن تأتي بها إلى بيتي؟! الله أحق أن تستحي منه.

- ومن روحانيات المسلم عند مشيه إلى بيت الله تعالى أن يسعى في تحقيق الإيمان: لعلمه أن المساجد هي بيوت الله في الأرض وهي خير البقاع وأحبُّها إلى الله عز وجل، كما أخبر بذلك النبي صلى الله عليه وسلم، والمسجد بيت كل تقي، ومن كان مداومًا على عمارة المساجد والصلاة فيها فهذا دليل الإيمان بالله، قال الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨].

- ومن روحانيات المسلم عند مشيه إلى بيت الله تعالى: أن يستحضر في عقله وقلبه أنه يطمع فيما عند ربه جل وعلا، قال صلى الله عليه وسلم: ((من غدا إلى المسجد أو راح، أعد الله له نُزُلًا من الجنة كلما غدا أو راح))؛ متفق عليه.

فهل هناك هدف أسمى من نيل ((نُزُلًا من الجنة)) أو غاية أجل وأعظم أو أفضل من ذلك.

وتأمَّل قوله صلى الله عليه وسلم: ((من غدا إلى المسجد أو راح))، ما قال: للصلاة فقط، والغدو يطلق على الذهاب في أول النهار، والرواح يكون في آخره، فسواء كان ذهب لاعتكاف، أو ذهب لطلب علم، أو ذهب لصلاة فإنه يعد الله عز وجل له بذلك نزلًا، والنزل هو ما يعد للضيف، فتصور هذا النزل الذي يعده الله تبارك وتعالى وهو أغنى الأغنياء، وهو أكرم الأكرمين- سبحانه وتعالى- فلو أنك دعيت إلى مأدبة وأعد لك النزل- ما يوضع للضيف- فإن مثل هذا قد يحتاج الإنسان إلى مكافأة عليه.

وزادك ربك الله- أيها الحريص- على الأجر ثوابًا، فأخبرك النبي صلى الله عليه وسلم: ((صلاة الجماعة تفضل صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة))؛ رواه البخاري.

*** *** ***

-34-

من روحانيات المسلم في مشيه إلى المسجد [٣/٦]

نتابع- بعون الله تعالى- ما بدأناه من روحانيات المسلم في ذهابه إلى بيت ربه تعالى:

- ومن روحانيات المسلم عند خروجه إلى بيت الله تعالى أن يستحضر أنه: يطلب مغفرة السيئات ورفع الدرجات في جنة عرضها الأرض والسموات كما أخبرنا حبيبنا صلى الله عليه وسلم بذلك فقال: ((من تطهر في بيته ثم مشى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله، كانت خطواته إحداها تحط خطيئة، والأخرى ترفع درجة))؛ رواه مسلم .

- ومن روحانيات المسلم عند خروجه إلى بيت الله تعالى: أن يقول الدعاء الوارد عن خير الأنبياء صلى الله عليه وسلم: ((باسم الله توكلت على الله، اللهم إني أعوذ بك أن أضِلَّ أو أُضَلَّ، أو أَزِلَّ أو أُزَلَّ، أو أَظْلِم أو أُظْلَم، أو أَجْهَل أو يُجْهَل عليَّ))؛ حديث صحيح رواه أبو داود والترمذي والنسائي، وهذا يقال أينما توجه الإنسان إلى المسجد أو غيره.

- فإذا توجه إلى بيت الله تعالى عليه أن يشرِّف لسانه وجنانه بما ورد من الدعاء عن خير الأنام عليه الصلاة والسلام في هذا المقام ((اللهم اجعل في قلبي نورًا، وفي سمعي نورًا، وفي بصري نورًا، وفي لساني نورًا، وفي شعري نورًا، وفي بشري نورًا، وفي عظمي نورًا، وفي لحمي نورًا، وفي دمي نورًا، اللهم اجعل أمامي نورًا،

وخلفي نورًا، وعن يميني نورًا، وعن شمالي نورًا، وفوقي نورًا، وتحتي نورًا، اللهم أعطني نورًا، وزدني نورًا، وأعظم لي نورًا))؛ رواه البخاري ومسلم.

- قال القرطبي رحمه الله تعالى: "هذه الأنوار التي دعا بها رسول الله يمكن حملها على ظاهرها؛ فيكون سأل الله تعالى أن يجعل له في كل عضو من أعضائه نورًا، يستضيء به يوم القيامة في تلك الظلم، هو ومن تبعه أو مَن شاء الله منهم. والأولى أن يقال: هي مستعارة للعلم والهداية؛ كما قال تعالى: ﴿ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٢٢] وقوله تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢]".

وقال غيره: والتحقيق في معناه أن النور مُظهِرٌ ما نسب إليه، وهو يختلف بحسبه، فنور السمع مظهر للمسموعات، ونور البصر كاشف للمبصرات، ونور القلب كاشف عن المعلومات، ونور الجوارح ما يبدو عليها من أعمال الطاعات.

وقال الطِّيبي رحمه الله: "معنى طلب النور للأعضاء عضوًا عضوًا؛ أن يتحلى بأنوار المعرفة والطاعات، ويتعرَّى عما عداهما؛ فإن الشياطين تحيط بالجهات الست بالوساوس، فكان التخلص منها بالأنوار السادَّة لتلك الجهات".

وكل هذه الأمور راجعة إلى الهداية والبيان وضياء الحق، وإلى ذلك يرشد قوله تعالى: ﴿ اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ [النور: ٣٥] إلى قوله تعالى: ﴿ نُورٌ عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [النور: ٣٥].

*** *** ***

-35-

روحانيات المسلم في مشيه إلى المسجد [٤/٦]

نتابع- بعون الله تعالى- ما بدأناه من روحانيات المسلم في ذهابه إلى بيت ربه تعالى:

- ومن روحانيات المصلي عند خروجه إلى بيت الله تعالى: أن يستحضر ما ورد في الحديث ((رَجَلٌ قلبُه مُعلَّق بالمساجد)).

جاء في وصف هذا التعلُّق: إن المسلم كلما نُودي للصلاة فيها سارع إليها وإليه بشوقٍ وشديدِ رغبة؛ لينال القلب ارتياحه الذي لا يتهيَّأ بمتاع الدنيا وإنْ عَظُم، فسبيله في ذلك سبيل من كان يأمر بلالًا رضي الله عنه: ((أَرِحنا بها يا بلال)) صلى الله عليه وسلم، وإذا قُضِيَت الصلاة ظلَّ القلب معلَّقًا بالمسجد، وإن خرج منه الجسد، حتى يعود إليه مرة أخرى.

وما كان هذا التعلُّق أن يأتِيَ من فراغ، ولكنه ثمرة التعلق بالله سبحانه وتعالى، محبةً وإنابةً ورغبة ورهبة وخوفًا ورجاءً وإخلاصًا وتوكُّلًا وذلًّا وتعبُّدًا، فالتعلُّق بالله عز وجل وحده هو الغاية العظمى والنجاة الحقَّة.

- ومن روحانيات المصلي عند خروجه إلى بيت الله تعالى: أن يعلم أنه حينما يستحضر تلك المعاني كلها، فإن هذا سيدعوه إلى الإخلاص الذي هو لب لباب الأعمال وغاية أمنيات العمال؛ فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول اللَّه صلى الله عليه وسلم: ((من أتى المسجد لشيء فهو حظه))؛ رواه أبو داود.

وهذا يدل على أن من أتى المسجد لقصد حصول شيء أخروي أو دنيوي فذلك الشيء حظه ونصيبه؛ لأنه كما في الحديث ((ولكل امرئ ما نوى))، وهذا فيه تنبيه على تصحيح النية في إتيان المساجد لئلا يكون مختلطًا بغرض دنيوي، كالتمشية أو اللقاء مع الأصحاب بل ينوي العبادة وزيارة بيت الله ويرجو الثواب من عند الله عز وجل.

- ومن روحانيات المصلي عند خروجه إلى بيت الله تعالى: أن يجعل نياته متعددة؛ أي: لا يقتصر على نية أداء صلاة الجماعة فقط بل عليه أن ينوي عددًا من الأعمال الصالحات: كتكثير سواد الصالحين، والاعتكاف في المسجد، وينوي السلام على جيرانه- في الصف- وينوي الصدقة إن وجد محتاجًا، وحضور الدرس إن قام واعظ يعظ الناس، أو إن كان له حظ من العلم أن ينوي بخروجه تعليم الناس، فيكون بهذا حاز أجر حجة تامة، كما ورد في حديث أَبِي أُمَامَةَ رَضِيَ الله عَنْه عَنِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((مَنْ غَدَا إِلَى الْمَسْجِدِ لا يُرِيدُ إِلا أَنْ يَتَعَلَّمَ خَيْرًا أَوْ يَعْلَمَهُ، كَانَ لَهُ كَأَجْرِ حَاجٍّ، تَامًّا حِجَّتُهُ))؛ أخرجه الحاكم (١/١٦٩) وغيره، قال الألباني: حسن صحيح.

كما له أن ينوي زيارة مريض إن علم أن هناك مريضًا من أهل المسجد وبذلك يحوز ثواب عيادة المريض الوارد في حديث جَابِرٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ عَادَ مَرِيضًا لَمْ يَزَلْ يَخُوضُ فِي الرَّحْمَةِ حَتَّى يَجْلِسَ , فَإِذَا جَلَسَ اغْتَمَسَ فِيهَا))؛ صححه الألباني في السلسلة الصحيحة (٢٥٠٤).

*** *** ***

روحانيات المسلم في مشيه إلى المسجد [٥/٦]

نتابع- بعون الله تعالى- ما بدأناه من روحانيات المسلم في ذهابه إلى بيت ربه تعالى:

ومما يعين المسلم على تحصيل تلك الروحانيات أن يتأدب بما ورد من آداب عن خير البريات عليه أفضل الصلوات وأتم التسليمات وهي:

أولًا: الخروج إلى المسجد مشيًا، وعدم الجري في الطريق إليه: إذا خرج المسلم من بيته متوجِّهًا إلى المسجد ليؤدي الصلاة في جماعة المسلمين، فينبغي أن يكون مَشِيُه بسَكينة ووَقار، والسكينة: هي الطُّمأنينة والتأني في المشي، والوقار: هو الرصانة والرزانة والهدوء وغضُّ البصر وخَفضُ الصوت وقلة الالتفات، فقد روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((إذا سمعتم الإقامةَ فامشوا إلى الصلاة، وعليكم بالسكينة والوقار، ولا تسرعوا، فما أدركتم فصلوا، وما فاتكم فأتموا))، والمعنى المراد: فما أدركتم من الصلاة مع الإمام فصلُّوه معه مقتدين به، وما فاتكم من الصلاة مع الإمام فأتِمُّوه، أي: أكملوه وحدكم.

ثانيًا: التبكير إلى الصلاة، وإدراك تكبيرة الإحرام: ينبغي للمسلم أن يخرج إلى المسجد مبكرًا؛ ليُدرك تكبيرة الإحرام خلف الإمام وليحضر الصلاة مع الجماعة من أوَّلِها، فعن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((من صلى لله أربعين يومًا في جماعة يدرك التكبيرة الأولى، كُتب له براءتان: براءة من النار، وبراءة من النفاق))؛ رواه الترمذي.

ثالثًا: المقاربةُ بين الخُطى: وينبغي للمسلم أيضًا أن يقارب بين الخُطَى في مَشْيِه إلى الصلاة، لتكثُر خطواته، وتكثر تبعًا لذلك حسناتُه، ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا توضأ أحدكم فأحسنَ الوُضوء، ثم خرج إلى المسجد، لا يُخْرِجُه إلا الصلاة، لم يَخْطُ خطوةً إلا رُفِعت له بها درجة، وحُطَّ عنه بها خطيئة)).

وعن أبي موسى رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((إن أعظم الناس أجرًا في الصلاة أبعدهم إليها ممشى فأبعدهم، والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الإمام أعظم أجرًا من الذي يصليها ثم ينام))؛ رواه مسلم.

*** *** ***

من روحانيات المسلم في مشيه إلى المسجد [٦/٦]

نتابع- بعون الله تعالى- ما بدأناه من روحانيات المسلم في ذهابه إلى بيت ربه تعالى:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((مَنْ تَطَهَّرَ فِي بَيْتِهِ ثُمَّ مَشَى إِلَى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللَّهِ لِيَقْضِيَ فَرِيضَةً مِنْ فَرَائِضِ اللَّهِ، كَانَتْ خَطْوَتَاهُ إِحْدَاهُمَا تَحُطُّ خَطِيئَةً وَالأُخْرَى تَرْفَعُ دَرَجَةً))؛ رواه مسلم.

وعَنْ بُرَيْدَةَ الأَسْلَمِيِّ رضي الله عنه، عَنْ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم قَالَ: ((بَشِّرْ الْمَشَّائِينَ فِي الظُّلَمِ إِلَى الْمَسَاجِدِ بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ))؛ رواه أبو داود، وصححه الألباني في صحيح أبي داود.

قال ابن علان رحمه الله: "الظُّلَم: جمع ظلمة، وهي تعم ظلمة العشاء والفجر. وفي الحديث: فضل المشي إلى الصلاة سواء كان المشي طويلًا أو قصيرًا، وفضل المشي إليها للجماعات في ظلم الليل"؛ [دليل الفالحين بشرح رياض الصالحين (٣/٥٥٨-٥٥٩)].

وهذا الفضل ثابت- إن شاء الله- لمن صلى العشاء والفجر مع الجماعة، ولو كانت الطرق مضاءة؛ لأن هاتين الصلاتين في ظلمة الليل.

فهذه الأحاديث وغيرها فيها حث للمسلم على أن يجتهد في إتيان المسجد ماشيًا لا راكبًا ولو كانت داره بعيدة، ما لم تكن مشقة أو عذر ككبر ونحوه، وألا يعوِّد نفسه ركوب السيارة، إذا كان المسجد تصله القدم بلا مشقة.

ومع هذه الفضائل العظيمة في المشي إلى المسجد من محو الخطايا ورفع الدرجات والأجر العظيم والنور التام يوم القيامة؛ فإن هناك فوائد أخرى عظيمة تعود على البدن:

إن المشي إلى المسجد هو رياضة بحد ذاته وفوائده لا تحصى، وله دور كبير في تقوية الجسم وتنشيط بإذن الله تعالى؛ ليكون أهلًا لمقاومة الأمراض والآفات.

إن السعي إلى بيوت الله كل يوم في أوقات معلومة متقطعة يكفي لتمرين العضلات وتنشيط الأوصال وتحسين حالة الجسم، كما أن المشي إلى المساجد يساهم في الوقاية من الأمراض التي يسببها الخمول وكثرة الجلوس وعلى رأسها السمن؛ لأن المشي يعمل على إذابة الشحوم والدهون.

كما أن المشي علاج لأمراض القلب؛ حيث إنه يعطي القلب- بإذن الله - القدرة على العمل وتحمل الجهود؛ حيث تكون الدورة الدموية أكثر انتظامًا.

كما أن المشي إلى المسجد علاج للتعب الذهني والتفكير الطويل؛ إذ إنه يعيد العقل إلى حالته الطبيعية، ويساعد على الاسترخاء العصبي والعضلي.

*** *** ***

-38-

روحانيات المسلم عند دخوله بيت الله تعالى [١/٣]

سنبدأ في هذا المقال- بعون الله تعالى- مجموعة من المقالات للكلام عن روحانيات المسلم عند دخوله بيت الله تعالى:

نحن ندخل أماكن عديدة في حياتنا اليومية، فنزور صديقًا في بيته ونزور آخر في متجره، وربما يكون لنا حظ فنزور عالمًا من كبار العلماء في مجلسه؛ للإفادة من علمه، فهل شعورنا يكون واحدًا في تلك الأماكن كلها أم أنه يختلف؟ وهل تصرفاتنا فيها واحدة أم أنها تختلف؟ لا شك من وجود اختلاف كبير بين جلوسي مع صديقي في بيته، وجلوسي في بيت ذلك العالم، من حيث التصرف والشعور، فسوف تراني منبسطًا في بيت صديقي وربما أضحك بأعلى صوتي لكن من المستحيل أن أفعل الشيء ذاته في بيت العالِم! وهو أدب مطلوب لهيبة العلم وهيبة المجلس.

الآن أنا سأدخل بيت الله تعالى، فما هو شعوري وقد وصلت إلى الباب؟ هنا يأتي دور معرفة الروحانيات:

- من روحانيات المسلم عند دخوله المسجد: استحضار عظمة المكان وأنه بيت الرحمن جل جلاله فقد تعالى: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [النور: ٣٦]، قال قتادة رحمه الله: "المساجد أَمَرَ الله سبحانه وتعالى ببنائها وعمارتها ورفعها وتطهيرها، وقد ذكر لنا أن كعبًا كان يقول: "مكتوبٌ في التوراة إن بيوتي في الأرض المساجد، وإنه من توضأ فأحسن وضوءه، ثم زارني في بيتي أكرمته، وحق على المزور كرامة الزائر".

- ومن روحانيات المسلم عند دخوله المسجد: استحضار عظمة الله تعالى الذي سأدخل بيته هو صاحب العظمة والجلال، الموصوف بصفات الجمال والكمال، وهو الملك ومالك الملك الذي بيده كل شيء، ولا يغيب عنه شيء، والقادر على كل شيء، والمدبر لكل شيء، هو الرحمن الرحيم، الذي يريد بعباده الخير في الدنيا والآخرة، وأستحضر أيضًا أن بيته مهبط الرحمات الربانية، فهل يعقل أن أدخل بيته دون أدنى تغيُّر في إحساسي، أو أن أشعر بأنني سأدخل مكانًا يختلف عن جميع الأماكن، إن المسجد أخذ قدسيته من نسبه إلى الله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ [التوبة: ١٨] هكذا قال الله: ﴿ مَسَاجِدَ اللَّهِ﴾، فأضافها إليه إضافة تشريف وتمجيد وتكريم.

ولما سمعت من تلك الإضافة قال العلماء: لم يكن شيءٌ في الوجود على قلب المسلم يلقى التقديس والتعظيم والإجلال مثل كتاب الله، وحرمات الله، وبيوت الله، فإن بيوت الله من شعائره التي يجب أن تُعظَّم، ولا

يحتاج مسلم صادق في توجُّهه إلى الله، وموثّق ارتباطه بدينه، لا يحتاج إلى مُذَكِّر له بتعظيم بيوت الله، وإنما يندفع اندفاعًا من تلقاء نفسه يُعظِّم بيوت الله، ويصون حرمتها، ويحافظ على قدسيتها، إلَّا من شذَّ ممَّن لا ينتبه من نفسه.

*** *** ***

-39-

روحانيات المسلم عند دخوله بيت الله تعالى [٢/٣]

نتابع- بعون الله تعالى- ما بدأناه من كلام حول روحانيات عند دخول بيت الله الملك العلام:

لقد أقام الإسلام تعظيم بيوت الله، وصيانة حرمتها، وإبقاء قدسيتها على ثلاثة أركان:

١/ ركن التقدير: وهو التعظيم لها واحترامها ظاهرًا وباطنًا، فلا يزال المسجد عظيمًا في نفس كل مؤمن، يتجنب فيه رفع الصوت فلا يتكلم فيه إلا همسًا، ومن باب أولى ألا يزعج أحدًا يقوم فيها بعبادة الله تعالى سواء بالصلاة أو الذكر أو تلاوة القرآن أو تعليم العلم.

٢/ وركن التطهير: أي ينظف المسجد من الأوساخ والأدناس وقد ورد في ذلك من الأجور قوله صلى الله عليه وسلم: ((عرضت علي أجور أمتي حتى القذاة يخرجها الرجل من المسجد))؛ رواه أبو داود والترمذي وقالت عائشة رضي الله عنها: "أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ببناء المساجد في الدُّور وأن تنظف وتطيب"؛ وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٤٨٧).

ومما يدل على فضل من اعتنى بذلك ما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلًا أسود أو امرأة سوداء كان يَقُمُّ المسجد فمات فسأل النبي صلى الله عليه وسلم عنه فقالوا: مات، قال: ((أفلا كنتم آذنتموني به؟ دلوني على قبره)) أو قال: ((قبرها)) فأتى قبرها فصلى عليها؛ متفق عليه. ومعنى يَقُمُّ: أي ينظف.

٣/ وركن التعمير: وعمارة المساجد بمعناها العام تشمل العمارة بنوعيها الحسية والمعنوية وهي المقصودة هنا؛ كالصلاة فيها ولزومها وعبادة الله فيها، وتعيين الأئمة والمؤذنين فيها، وفتح حلق الذكر فيها؛ من تعليم القرآن والفقه والتفسير والحديث وغيرها من العلوم النافعة، وجاءت الإشارة إلى هذا في قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨].

قال السعدي رحمه الله في تفسيرها: وصفهم بالإيمان النافع، وبالقيام بالأعمال الصالحة التي أُمُّها الصلاة والزكاة، وبخشية الله التي هي أصل كل خير، فهؤلاء عمار المساجد على الحقيقة وأهلها الذين هم أهلها.

﴿ فَعَسَى أُولَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾و «عسى» من الله واجبة.

وأما من لم يؤمن بالله ولا باليوم الآخر، ولا عنده خشية لله، فهذا ليس من عمَّار مساجد الله، ولا من أهلها الذين هم أهلها، وإن زعم ذلك وادَّعاه.

*** *** ***

-40-

روحانيات المسلم عند دخوله بيت الله تعالى [٣/٣]

نتابع- بعون الله تعالى- ما بدأناه من كلام حول روحانيات عند دخول بيت الله تعالى:

- ومما يعين المسلم على استحضار تلك الروحانيات عند دخوله المسجد:

أن يتلو الدعاء الذي علمنا إياه سيدنا وحبيبنا محمد صلى الله عليه وسلم حيث أمر الداخل لبيت الله أن يدخل برجله اليمنى وأن يقول: ((بسم الله، اللهم صَلِّ على محمد))؛ رواه ابن السُّني، وحسنه الألباني.

ويقول أيضًا: ((اللهم اغفر لي ذنوبي، وافتح لي أبواب رحمتك))؛ رواه أحمد وغيرُه.

- والسبب في تقديم الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم أنه هو الذي علمنا وأرشدنا كما أنه قدوتنا، ليكون بقاؤنا في المسجد وجميع تصرفاتنا فيه على وفق سنته صلى الله عليه وسلم، ومعنى الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم في جميع المواضع: أن يذكره ربه في الملأ الأعلى، وقيل: تعظيمه في الدنيا بإعلاء كلمته، وإحياء شريعته، وفي الآخرة برفع درجته، وتشفيعه لأمته.

- قوله: ((أبواب رحمتك))؛ أي: أنواع رحمتك.

يقول الطيبي رحمه الله تعالى- كما في تحفة الأحوذي-: "لعل السر في تخصيص الرحمة بالدخول، والفضل بالخروج؛ أن من دخل اشتغل بما يزلفه إلى ثوابه وجنته، فيناسب ذكر الرحمة، وإذا خرج اشتغل بابتغاء الرزق الحلال، فناسب ذكر الفضل كما قال الله تعالى: ﴿ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠] "؛ انتهى.

- ومما يعين المسلم على استحضار تلك الروحانيات عند دخوله المسجد أيضًا: أن يستحضر أنه بدخوله إلى بيت الله تعالى يغيظ الشيطان؛ ولذا ندب له أن يقول أيضًا ما ورد في الحديث: ((أعوذ بالله العظيم، وبوجهه الكريم، وسلطانه القديم، من الشيطان الرجيم، فإذا قال ذلك، قال الشيطان: حُفظ مني سائر اليوم))؛ رواه أبو داود.

جاء في معنى هذا الدعاء: ((وبوجهه الكريم)): كل شيء يشرف في بابه؛ فإنهم يصفونه بالكرم، ولا يستعمل الكرم في وصف أحد إلا في المحاسن الكثيرة، والعرب تقول: كرَّم الله وجهك؛ أي: أكرمك، ويستعمل الوجه في أشرف ما يقصد، وأعظم ما يُبتغى، ووجه الله الكريم أشرف ما يتوجه إليه، وأكرم ما يتوسل به.

قوله: ((وسلطانه القديم)): السلطان في الأصل الحجة؛ والمراد به هاهنا: قهره وقدرته الباهرة القديمة، ومعنى اختصاص وجه الله الكريم، وسلطانه القديم بالذكر عند الاستعاذة: أن التعوذ إنما يصح بمن انتهى كرمه، وعلا شأنه، وكملت قدرته، فلا يَخْذِلُ المستعيذ به، ولا يُسْلِمُهُ، ولا يُخيبُ رجاءه، ولا يعجز عن أمره، ولا يحيل إلى غيره، وذلك بما لا يوجد إلا عند الله، ولا ينال إلا منه سبحانه وتعالى.

قوله: ((الرجيم))؛ أي: المطرود من رحمة الله تعالى.

*** *** ***

-41-

روحانيات المسلم أثناء جلوسه في بيت الله تعالى [١/٣]

سنبدأ في هذا المقال- بعون الله تعالى - مجموعة من المقالات للكلام عن روحانيات المسلم أثناء جلوسه في بيت الله تعالى:

بعد أن تدخل أخي المصلي المسجد برجلك اليمنى قائلًا الدعاء الذي شرحناه آنفًا، فعليك الآن أن تتذكر أنه من واجبك ما دمت في بيت الله تعالى أن تلتزم الهدوء، وألا ترفع صوتك لا بالذكر ولا بتلاوة القرآن ولا بالصلاة؛ وذلك لما فيه من الإعانة على الخشوع وحضور القلب، ولأن العلماء يقولون: يحرم رفع الصوت على وجه يشوِّش على المصلين ولو بقراءة القرآن، ويستثنى من ذلك درس العلم، فعن أبي سعيد الخُدْري أن النبي صلى الله عليه و سلم اعتكف في المسجد، فسمعهم يجهرون بالقراءة، فكشف الستر، وقال: ((ألا أن كلكم مناجٍ ربه فلا يؤذين بعضكم بعضًا، ولا يرفع بعضكم على بعض في القراءة))؛ رواه أبو داود، والنسائي، والبيهقي، والحاكم.

- فمن روحانيات المسلم بعد دخوله المسجد: ألَّا يجلس حتى يصليَ ركعتين تحية المسجد، فعن أبي قتادة رضي الله تعالى عنه قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إذا دخل أحدُكم المسجدَ، فلا يجلسْ حتى يصليَ ركعتين))؛ متفق عليه.

وتعتبر تحية المسجد بمنزلة السلام، فكما أنك تلقي السلام على أحبابك وأصدقائك ومعارفك، فإنه من التكريم والإجلال والإكبار لبيت الله تعالى أن تسلم عليه بتأدية ركعتين عند الدخول إليه؛ لذلك فمن الأفضل أن يصلي المسلم ركعتي تحية المسجد كلما دخل إليه.

قال النووي رحمه الله: "عبر بعضهم بتحية رب المسجد؛ لأن المقصود منها القربة إلى الله، لا إلى المسجد؛ لأن داخل بيت الملك يحيي الملك لا البيت".

- ولعله لأجل هذا المعنى كانت تحية المسجد مشروعة لكل من دخل المسجد، وفي جميع الأوقات والأحوال، قال النووي رحمه الله: ولم يترك النبي صلى الله عليه وسلم التحية في حال من الأحوال؛ بل أمر الذي دخل المسجد يوم الجمعة وهو يخطب فجلس أن يقوم فيركع ركعتين، مع أن الصلاة في حال الخطبة ممنوع منها إلا التحية، فلو كانت التحية تترك في حال من الأحوال لتركت الآن؛ لأنه قعد، وهي مشروعة قبل القعود، ولأنه كان يجهل حكمها، ولأن النبي صلى الله عليه وسلم قطع خطبته وكلَّمه، وأمره أن يصلي التحية، فلولا شدة الاهتمام بالتحية في جميع الأوقات لما اهتم عليه السلام هذا الاهتمام؛ انتهى.

*** *** ***

-42-

روحانيات المسلم أثناء جلوسه في بيت الله تعالى [٢/٣]

نتابع- بعون الله تعالى- ما بدأناه من كلام حول روحانيات الجلوس في بيت الله تعالى:

ومن روحانيات المسلم بعد أدائه للنافلة أن يجلس بأدب في انتظار الصلاة: ومما يحْمِلُه على هذا الأدب عِلْمُهُ أنه في حكم المصلي، ويجري عليه أجرُه؛ فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لا يزال أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة))؛ رواه البخاري.

ومن روحانيات المسلم في حال انتظاره للصلاة: أن يستحضر أن الملائكة تدعو له، وأنه الآن في صحبتها، ولا أظن أن في الدنيا شعورًا أجمل من هذا الشعور، ولا لحظات أجمل منها، فقد ورد عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((الملائكة تصلي على أحدِكم ما دام في مصلاه الذي صلى فيه، ما لم يُحْدِث، تقول: اللهم اغفر له! اللهم ارحمه!))؛ رواه البخاري ومسلم.

فالملائكة تدعو له بالرحمة والمغفرة ما دام جالسًا متطهرًا في مصلاه الذي صلى فيه، فإذا قام أو انتقض وضوؤه انقطع دعاء الملائكة له بالرحمة والمغفرة.

ومن روحانيات المسلم في حال انتظاره للصلاة: أن يشتغل بالدعاء، فإنه مستجاب، فما أحوج المسلم في هذه الأزمنة إلى الدعاء لنفسه وأسرته وأمته، أن يقيه شر الفتن والبلايا والرزايا، والمصائب والمتاعب، وفقدان الإيمان، أو أن يستخفه الشيطان فيكون من أهل العصيان. وقلنا: الدعاء مستجاب لما ورد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((الدُّعَاءُ لَا يُرَدُّ بَيْنَ الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ))؛ رواه الترمذي وصححه، وأبو داود، وصححه الألباني.

ومن روحانيات المسلم في حال انتظاره للصلاة: أن يشتغل بذكر الله، وتلاوة القرآن، ومعلوم أن ذلك يجعله ينال ما يناله بالدعاء بل أعظم.

قال الحافظ ابن حجر في فتح الباري: إن الذاكر يحصل له ما يحصل للداعي إذا شغله الذكر عن الطلب، كما في حديث ابن عمر عن النبي صلى الله عليه وسلم: قال: ((يقول الله تعالى: من شغله ذكري عن مسألتي أعطيته أفضل ما أعطي السائلين))؛ أخرجه الطبراني بسند لين، وحديث أبي سعيد بلفظ: ((من شغله القرآن وذكري عن مسألتي))؛ أخرجه الترمذي وحسنه؛ انتهى.

ولما كانت تلاوة القرآن نوعًا من الذكر بل هي أفضل الذكر: قلنا: يشتغل بذكر الله وتلاوة القرآن.

جاء في مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية: "الأصل: أن جنس تلاوة القرآن أفضل من جنس الأذكار، كما أن جنس الذكر أفضل من جنس الدعاء، كما في الحديث الذي في صحيح مسلم عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: ((أفضل الكلام بعد القرآن أربع، وهن من القرآن: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر))؛ انتهى.

*** *** ***

-43-

روحانيات المسلم أثناء جلوسه في بيت الله تعالى [٣/٣]

نتابع - بعون الله تعالى - ما بدأناه من كلام حول روحانيات الجلوس في بيت الله تعالى:

فمما يعين على هذه الروحانيات التأدب بهذه الآداب منتظِرًا الصلاة:

١/ أن يجتنب الخوض في أحاديث الدنيا، وأن يجتنب العَبَث كتشبيك الأصابع وغير ذلك؛ فقد ورد النهيُ عن التشبيك بين الأصابع لِمنتظر الصلاة، فعن كعب بن عجرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((إذا توضأ أحدُكم فأحْسَنَ وُضوءَه، ثم خرج عامدًا إلى المسجد، فلا يُشَبِّكن بين أصابعه، فإنه في صلاة))؛ رواه أبو داود، والترمذي.

فإن كان التشبيك بين الأصابع على وجه العبث منهيٌّ عنه قبل الصلاة وفي الطريق إليها، وكان هذا العمل اليسير يُشْغِلُ القلبَ، ويُفَرِّقُ شملَه، ويصْرِفُه عما هو بصدده من مناجاة الرحمن سبحانه، ويُشْعِر بقِلة المبالاة والاستخفاف بشأن الصلاة، فكيف بغيره من الملْهيات التي يرتكبها كثير من رُوَّاد المساجد اليوم، مِنَ العَبَثِ بالجوَّالات وغير ذلك مما يندى له جبين المسلم الغيور على صلاته؟!

٢/ أن يحرص المصلي على أداء الصلاة في الصف الأول خلف الإمام، وأن ينافس في نيل هذا الشرف، فعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((لو يعلم الناسُ ما في النداء

والصف الأول، ثم لم يجدوا إلا أن يَسْتَهِمُوا عليه لاستهموا، ولو يعلمون ما في التَّهْجِير لاستبقوا إليه، ولو يعلمون ما في العَتَمَة والصُّبْح، لأَتَوْهُما ولو حَبْوًا))؛ رواه البخاري ومسلم.

ومعنى قوله: ((ثم لم يجدوا إلا أن يَسْتَهِمُوا عليه لاستهموا))؛ أي: إذا لم يجدوا وسيلةً للوصول إليه إلا أن يقترِعوا، لاقترعوا! والتهجيرُ: التبكير إلى الصلوات، والعتمة هي صلاة العشاء.

ومما يتنافى مع روحانيات انتظار الصلاة أن يتحدث الناس بكلام الدنيا، فقد ورد النهي والذم عن حديث الدنيا في المساجد، لمن كان حديثهم الدنيوي في المساجد، الذين يتكلمون: ما هي الأخبار اليوم؟ ماذا بعت يا فلان؟ وماذا قالت الإذاعة الفلانية؟ أعطونا الأخبار.

فهذه أحاديث دنيوية تتنافى مع أدب الجلوس في بيوت الله تعالى؛ ولذا ورد عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((سيكون في آخر الزمان قومٌ يكون حديثهم في مساجدهم ليس لله فيه الحاجة))؛ رواه الحاكم في المستدرك وقال: "صحيح الإسناد"، ووافقه الذهبي، ورواه ابن حبان في صحيحه.

*** *** ***

-44-

روحانيات القيام بين يدي الله تعالى في الصلاة [١/ ٤]

سنبدأ في هذا المقال- بعون الله تعالى- مجموعة من المقالات يدور الحديث فيها حول روحانيات القيام بين يدي الله تعالى في الصلاة:

عند حضور المسلم للصلاة يقوم القيام الموافق للسنة المطهرة، فيرفع يديه حذو منكبيه، ثم يرسلهما؛ لحديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: "رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قام في الصلاة رفع يديه حتى تكونا حذو منكبيه، ووضع يده اليمنى على اليسرى بعد تكبيرة الإحرام تحت صدره فوق سرته، ووضعهما في السجود على الأرض حذو منكبيه"؛ متفق عليه.

- فمن روحانيات لحظة القيام بالذات استحضار جلالة وعظمة وكبرياء الله: الذي أنت الآن واقف بين يديه وستناجيه كما استحضرت عظمته عند دخول بيته، والآن ينبغي أن يخفق قلبك وتخشع جوارحك، فهذه مناجاة لمن خَلَقَك ورَزَقك وعافاك وحفظك، وأمدَّك بنعم لا تحصى، وفضْلٍ لا يُنسى، وأفضل ما أمدك به الإيمان ومحبة الرحمن والحب لفرائضه العظام.

- ومن روحانيات لحظة القيام: استحضار معنى قوله تعالى: ﴿وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، كما بينه العلماء: إن في القنوت معنى المداومة على الضراعة والخشوع؛ أي: قوموا ملتزمين لخشية الله تعالى، واستشعار هيبته وعظمته، ولا تكمل الصلاة وتكون حقيقية ينشأ عنها ما ذكر الله تعالى من فائدتها إلا بهذا، وهو متوقف على التفرغ من كل فكر وعمل يشغل عن حضور القلب في الصلاة وخشوعه؛ لما فيها من ذكر الله بقدر الطاقة.

- ولذا كان لا بد من التخلي عن جميع الشواغل قبل هذا القيام، قال ابن القيم رحمه الله: "وأُمر بأن يستقبل القبلة- بيته الحرام- بوجهه، ويستقبل الله عز وجل بقلبه؛ لينسلخ مما كان فيه من التولي والإعراض، ثم قام بين يديه مقام المتذلل الخاضع المسكين المستعطف لسيِّده عليه، وألقى بيديه مسلّمًا مستسلمًا، ناكس الرأس، خاشع القلب، مُطرق الطرف لا يلتفت قلبه عنه طرفة عين، لا يَمْنَةً و لا يَسْرةً، خاشع قد توجه بقلبه كلِّه إليه، وأقبل بكليته عليه".

ومن روحانيات استقبال القبلة في القيام ما أشار إليه الغزالي رحمه الله بقوله: "أما الاستقبال فهو صرف ظاهر وجهك عن سائر الجهات إلى جهة بيت الله تعالى، أفترى أن صرف القلب عن سائر الأمور إلى الله عز وجل ليس مطلوبًا منك هيهات فلا مطلوب سواه؛ وإنما هذه الظواهر تحريكات للبواطن، وضبط للجوارح، وتسكين لها بالإثبات في جهة واحدة حتى لا تبغي على القلب، فإنها إذا بغت وظلمت في حركاتها والتفاتها إلى جهاتها استتبعت القلب، وانقلبت به عن وجه الله عز وجل، فليكن وجه قلبك مع وجه بدنك، فاعلم أنه كما لا يتوجه الوجه إلى جهة البيت إلا بالانصراف عن غيرها فلا ينصرف القلب إلى الله عز وجل إلا بالتفرغ عما سواه"؛ ا هـ.

*** *** ***

روحانيات القيام بين يدي الله تعالى في الصلاة [٢/٤]

نتابع في هذه الحلقة- بعون الله تعالى- ما بدأناه من كلام حول روحانيات القيام بين يدي الله تعالى:

*فمن روحانيات الاعتدال في القيام: ما أشار إليه الغزالي بقوله: وأما الاعتدال قائمًا فإنما هو مثول بالشخص والقلب بين يدي الله عز وجل، فليكن رأسك الذي هو أرفع أعضائك مطرقًا مطأطئًا متنكسًا، وليكن وضع الرأس عن ارتفاعه تنبيهًا على إلزام القلب التواضع والتذلل والتبري عن الترؤس والتكبر، وليكن على ذكرك ههنا خطر القيام بين يدي الله عز وجل في هول المطلع عند العرض للسؤال.

واعلم في الحال أنك قائم بين يدي الله عز وجل وهو مطلع عليك، فقم بين يديه قيامك بين يدي بعض ملوك الزمان إن كنت تعجز عن معرفة كنه جلاله بل قَدِّر في دوام قيامك في صلاتك أنك ملحوظ ومرقوب بعين كالئة من رجل صالح من أهلك أو ممن ترغب في أن يعرفك بالصلاح، فإنه تهدأ عند ذلك أطرافك وتخشع جوارحك وتسكن جميع أجزائك؛ خيفة أن ينسبك ذلك العاجز المسكين إلى قلة الخشوع، وإذا أحسست من نفسك بالتماسك عند ملاحظة عبد مسكين فعاتب نفسك وقل لها: إنك تدعين معرفة الله وحبه، أفلا تستحين من استجرائك عليه مع توقيرك عبدًا من عباده؟! أَوَتَخشين الناس ولا تخشينه؟! وهو أحق أن يُخشى، فقد جاء في الحديث: عَنْ سَعِيدِ بن يَزِيدَ الأَزْدِيِّ رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم: أَوْصِنِي، قَالَ: ((أُوصِيكَ أَنْ تَسْتَحِيَ مِنَ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ كَمَا تَسْتَحِي مِنَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ))؛ رواه أحمد في الزهد، وصححه الألباني في الصحيحة.

*ومن روحانيات الاعتدال في القيام ما أشار إليه الغزالي أيضًا بقوله: وأما دوام القيام فإنه تنبيه على إقامة القلب مع الله عز وجل على نعت واحد من الحضور، قال صلى الله عليه وسلم: ((إن الله عز وجل مقبل على المصلي ما لم يلتفت))؛ رواه أبو داود.

وكما تجب حراسة الرأس والعين عن الالتفات إلى الجهات فكذلك تجب حراسة السر عن الالتفات إلى غير الصلاة. فإذا التفت إلى غيره فذكِّره- أي قلبك- باطلاع الله عليه وبقبح التهاون بالمناجَى عند غفلة المناجي عنه ليعود إليه، والخلاص عن الالتفات باطنًا وظاهرًا ثمرة الخشوع.

ومهما خشع الباطن خشع الظاهر، قال سعيد بن المسيب رضي الله عنه وقد رأى رجلًا مصليًا يعبث بلحيته: "أما هذا لو خشع قلبه لخشعت جوارحه"؛ رواه ابن أبي شيبة في المصنف، وعبد الرزاق في المصنف، والبيهقي في السنن الكبرى، وقال الألباني: إسناده جيد.

روحانيات القيام بين يدي الله تعالى في الصلاة [٣/٤]

نتابع- بعون الله تعالى- ما بدأناه من كلام حول روحانيات القيام بين يدي الله تعالى:

* روحانيات النظر إلى موضع السجود حال القيام: جاءت أحاديث في السنَّة الصحيحة فيها ذِكر هدي النبي صلى الله عليه وسلم في النظر إلى موضع السجود حال الصلاة، وهي- في عمومها- تشمل جميع أجزاء الصلاة، ومن هذه النصوص:

عن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى طأطأ رأسه ورمى ببصره نحو الأرض" [رواه الحاكم ١/٤٧٩، وقال: صحيح على شرط الشيخين، ووافقه الألباني في كتاب صفة الصلاة - ص(٨٩)].

* فمن روحانيات النظر إلى موضع السجود: في القيام أنه يعين المصلي على حضور قلبه وخشوعه أثناء تلاوته للأذكار المطلوبة من دعاء الاستفتاح وسورة الفاتحة بخلاف من يشتت بصره يَمْنةً ويَسْرةً فإنه لا يكاد يخشع؛ لأن المبصرات تصب في القلب فتشغله عما هو فيه من ذكر وتلاوة.

وعن أم سلمة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: "كانَ الناس في عهد النبي صلى الله عليه وسلم إذا قام أحد همَّ يصلي لم يَعْدُ بصره موضع قدمه، فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكان الناس إذا قام أحدهم يصلي لم يَعْدُ بصره موضع جبينه، فتوفي أبو بكر فكان عمر، فكان الناس إذا قام أحدهم يصلي لم يَعْدُ بصر أحدهم موضع القبلة، وكان عثمان بن عفان فكانت الفتنة، فالتفت الناس يمينًا وشمالًا"؛ أخرجه ابن ماجه.

وقال ابن سيرين: كانوا يستحبون للرجل أن لا يجاوز بصره مصلاه. وقال النخعي: كانَ يستحب أن يقع الرجل بصره في موضع سجوده.

فائدة طبية حول النظر إلى موضع السجود: قد أثبت الطب الحديث أن في النظر إلى موضع السجود في الصلاة فائدة عظيمة؛ حيث بينوا أن التركيز على موضع السجود حال القيام وبعد ذلك يتبعه تركيزٌ في حال الركوع من مسافة أقرب، ومسافة أقرب حال السجود، وهذا يؤدي إلى الانقباض في عدسة العين، ثم بعد ذلك ارتخاؤها، وهذا التمرين مفيد جدًّا لعدسة العين ويقيها ضعف النظر بإذن الله. وأنت في اليوم تسجد في الصلاة المكتوبة (١٧) سبع عشرة مرة، من غير السنن الراتبة، أي أن تسجد (٣٤) سجدة، فاحرص على اتباع السنة في صلاتك.

*** *** ***

روحانيات القيام بين يدي الله تعالى في الصلاة [٤/٤]

نتابع- بعون الله تعالى- ما بدأناه من كلام حول روحانيات القيام بين يدي الله تعالى:

وسنتناول في هذه الحلقة روحانيات النية: ولا بد للمصلي منها؛ ليفرق بين الفريضة والنافلة، وبين صلاته وهو منفرد وصلاته وهو في الجماعة مقتديًا بالإمام.

قال ابن القيم رحمه الله: "فإنَّ القُرباتِ كلَّها مبناها على النِّيّات، ولا يكون الفعل عبادةً إلَّا بالنيَّة والقصد، فالنيَّة روح العمل ولُبُّه وقوامه، لا يصحُّ إلَّا بها، والنبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم قد قال كلمتين كفَتَا وشَفَتَا، وتحتهما كنوزُ العِلم، وهما قوله صلى الله عليه وسلم: ((إنَّما الأعمالُ بالنِّيَّاتِ، وإنَّما لِكُلِّ امْرِئٍ ما نوى))، فبيَّن في الجملةِ الأُولى أنَّ العمل لا يقع إلَّا بالنيَّة؛ ولهذا لا يكون عملٌ إلَّا بنيَّة، ثم بيَّن في الجملة الثَّانية أنَّ العامل ليس له مِن عمله إلَّا ما نواه، وهذا يَعمُّ العباداتِ والمعاملات"؛ ا هـ. [إعلام الموقعين عن رب العالمين – (٣/٨٥-٨٦) – باختصار].

ومن روحانيات النية: ما أشار إليه بعض العارفين بقوله: "فإذا عقد المؤمن العزم على الصلاة الجمع للقاء الله سبحانه والوصال مع المحبوب عز وجل، وأخرج ما في قلبه من الحجب الشاغلة له عن مطلوبه. وكم واحد من السلف لما استشعر هذا اللقاء اصفرَّ لونه وذبلت صورته بلوعة الحب وقوة الود. وهذا العزم يَطال القلب لينتهضَ لعروجه وخروجه عن عالم الدنيا ودخوله إلى عالم الملكوت حتى يدخل إلى متعبَّد الملائكة الذين وجب الإيمان بهم في العالم المقدَّس الذي ليس فيه ما يشغل عن الصلاة"؛ ا هـ .

ومن روحانيات النية ما أشار إليه الغزالي بقوله: "وأما النية فاعزم على إجابة الله عز وجل في امتثال أمره بالصلاة وإتمامها، والكف عن نواقضها ومفسداتها، وإخلاص جميع ذلك لوجه الله سبحانه؛ رجاءً لثوابه وخوفًا من عقابه وطلبًا للقربة منه متقلدًا للمنة منه بإذنه تعالى لك في المناجاة مع سوء أدبك وكثرة عصيانك، وعظِّم في نفسك قدر مناجاته وانظر من تناجي؟ وكيف تناجي؟ وبماذا تناجي؟ وعند هذا ينبغي أن يعرق جبينك من الخجل، وترتعد فرائصك من الهيبة، ويصفرَّ وجهك من الخوف".

ومما يعين على هذه الروحانيات في النية: تذكر الموت في الصلاة: لقوله صلى الله عليه وسلم: ((اذكر الموت في صلاتك، فإن الرجل إذا ذكر الموت في صلاته لحريٌّ أن يحسن صلاته، وصلِّ صلاة رجل لا يظن أنه يصلي غيرها))؛ السلسلة الصحيحة للألباني.

وفي هذا المعنى أيضًا وصية النبي صلى الله عليه وسلم لأبي أيوب رضي الله عنه لما قال له: ((إذا قمت في صلاتك فصلِّ صلاة مودِّع))؛ رواه أحمد ٥/٤١٢ وهو في صحيح الجامع رقم ٧٤٢.

يعني صلاة من يظن أنه لن يصلي غيرها، وإذا كان المصلي سيموت ولا بد، فإن هناك صلاة ما، هي آخر صلاة له، فليخشع في الصلاة التي هو فيها؛ فإنه لا يدري لعلها تكون هذه هي.

*** *** ***

-48-

روحانيات تكبيرة الإحرام [١/٢]

سنتاول في هذا المقال- إن شاء الله تعالى- الروحانيات المتعلقة بتكبيرة الافتتاح للصلاة وتسمى بالتكبيرة الأولى ومما هو معلوم أنها ركن، ولا تصح الصلاة دونها، وهي لا تصح إلا بلفظ (الله أكبر) ولو قال غير ذلك بطلت صلاته.

فمن روحانيات تكبيرة الإحرام: أنه أول ما ينطق بـ (الله أكبر) أن يكون مستصحبًا تلك المعاني التي حضرته عند القيام من الإجلال والإعظام والهيبة والإكبار لله تعالى، يقول الغزالي رحمه الله تعالى: "التعظيم حالة للقلب تتولد من معرفتين:

إحداهما: معرفة جلال الله عز وجل وعظمته، وهو من أصول الإيمان، فإن من لا يعتقد عظمته لا تذعن النفس لتعظيمه .

الثانية: معرفة حقارة النفس وخستها وكونها عبدًا مسخرًا مربوبًا حتى يتولد من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله سبحانه فيعبَّر عنه بالتعظيم، وما لم تمتزج معرفة حقارة النفس بمعرفة جلال الله لا تنتظم حالة التعظيم والخشوع؛ فإن المستغني عن غيره الآمن على نفسه يجوز أن يعرف من غيره صفات العظمة ولا يكون الخشوع والتعظيم حاله؛ لأن القرينة الأخرى وهي معرفة حقارة النفس وحاجتها لم تقترن إليه.

ولذلك لم يحس مسلم بن يسار بسقوط الأسطوانة في المسجد. اجتمع الناس عليها، وبعضهم كان يحضر الجماعة مدة ولم يعرف قط مَن على يمينه ويساره،

وجماعة كانت تصفر وجوههم وترتعد فرائصهم. وكل ذلك غير مستبعد فإن أضعافه مشاهد في همم أهل الدنيا وخوف ملوك الدنيا مع عجزهم وضعفهم وخساسة الحظوظ الحاصلة منهم حتى يدخل الواحد على ملك أو وزير ويحدثه بمهمته ثم يخرج، ولو سئل عمن حواليه أو عن ثوب الملك لكان لا يقدر على الإخبار عنه لاشتغال همه به – أي الملك – عن ثوبه وعن الحاضرين حواليه ﴿ وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا﴾ [الأحقاف: ١٩] فحظ كل واحد من صلاته بقدر خوفه وخشوعه وتعظيمه، فإن موقع نظر الله سبحانه القلوب دون ظاهر الحركات"؛ ا هـ.

*** *** ***

روحانيات تكبيرة الإحرام [٢/٢]

نتابع- بعون الله تعالى- ما بدأناه من كلام حول روحانيات تكبيرة الإحرام:

- ومن روحانيات تكبيرة الإحرام ما أشار إليه ابن القيم رحمه الله تعالى بقوله: "ثم كبَّره بالتعظيم والإجلال وواطأ قلبه لسانه في التكبير، فكان الله أكبر في قلبه من كلِّ شيء، وصدَّق هذا التكبير بأنه لم يكن في قلبه شيء أكبر من الله تعالى يشغله عنه، فإنه إذا كان في قلبه شيء يشتغل به عن الله دلَّ على أن ذلك الشيء أكبر عنده من الله، فإنه إذا اشتغل عن الله بغيره، كان ما اشتغل به هو أهم عنده من الله، وكان قوله: (الله أكبر) بلسانه دون قلبه؛ لأن قلبه مقبل على غير الله مُعظِّمًا له، مجلًّا، فإذا ما أطاع اللسان القلب في التكبير، أخرجه من لبس رداء التكبُّر المنافي للعبودية، ومنعه من التفات قلبه إلى غير الله، إذا كان الله عنده وفي قلبه أكبر من كل شيء فمنعه حقّ قوله: (الله أكبر) والقيام بعبودية التكبير من هاتين الآفتين اللتين هُما من أعظم الحُجب بينه و بين الله تعالى"؛ ا هـ.

- ومن روحانيات رفع اليدين مع تكبيرة الإحرام: أن تستحضر دلالته على الفقر والحاجة والانكسار، وذلك أن المؤمن بِرفعِ يديه وكأنه يتخلى عن جميع الأشياء بالفقر والفاقة إلى الله تعالى، ويتخلص من جميع العقبات التي تحول دون سلوكه طريق الله سبحانه.

- ثم يضع يديه بالهيئة المعروفة بعد انتهائه من التكبير: وهذه الهيئة تدل على الأدب والتعظيم لله تعالى، بدليل أنك لو رأيت طالبًا يقف أمام أستاذه بهذه الهيئة لقلت في نفسك مباشرة ودون تفكير: إنه طالب مؤدب.

ومن روحانيات هذه الهيئة في القيام ما أشار إليه الشافعي في كتاب الأم: "أن الْقَصْد مِنْ وَضْعِ الْيُمْنَى عَلَى الْيُسْرَى تَسْكِينُ يَدَيْهِ، فَإِنْ أَرْسَلَهُمَا بِلَا عَبَثٍ فَلَا بَأْسَ، وَالْحِكْمَةُ فِي جَعْلِهِمَا تَحْتَ الصَّدْرِ أَنْ يَكُونَا فَوْقَ أَشْرَفِ الْأَعْضَاءِ وَهُوَ الْقَلْبُ، فَإِنَّهُ تَحْتَ الصَّدْرِ، وَقِيلَ: الْحِكْمَةُ فِيهِ أَنَّ الْقَلْبَ مَحَلُّ النِّيَّةِ، وَالْعَادَةُ جَارِيَةٌ بِأَنَّ مَنِ احْتَفَظَ عَلَى شَيْءٍ جَعَلَ يَدَيْهِ عَلَيْهِ، وَلِهَذَا يُقَالُ فِي الْمُبَالَغَةِ: أَخَذَهُ بِكِلْتَا يَدَيْهِ".

وقال ابن حجر رحمه الله تعالى: قال العلماء: الحكمة في هذه الهيئة أنها صفة السائل الذليل، وهو أمنع من العبث وأقرب إلى الخشوع.

*** *** ***

دعاء الاستفتاح: بعض صيغه وروحانياته [١/٣]

سنبدأ في هذا المقال- بعون الله تعالى- مجموعة من المقالات للكلام حول روحانيات دعاء الاستفتاح:

لكن قبل الشروع في بيان روحانيات دعاء الاستفتاح أريد أن أشير إلى أنه ورد في السنة عددٌ من الصيغ، وقد اخترنا صيغتين فقط لسهولة حفظهما واشتهارهما.

الصيغة الأولى من أدعية الاستفتاح: عن أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم إذا كبر في الصلاة سكت هُنَيَّةً قبل أن يقرأ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بأبي أنت وأمي أرأيتك سكوتك بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالقِرَاءَةِ، مَا تَقُولُ؟ قَال صلى الله عليه وسلم: ((اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنْ خَطَايَايَ، كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْنِي مِنْ خَطَايَايَ، بالثَّلْجِ والمَاءِ والبَرَدِ))؛ متفق عليه.

شرح معناه وروحانياته: قال بعض العلماء: في الحديث ثلاث مراتب للمؤمن مع خطاياه، وكلها لها اعتبارات مختلفة، وهي:

المرتبة الأولى: ((باعد بيني وبين خطاياي)) وهي مرتبة المباعدة، وهذه الحالة تصدق على المؤمن قبل مواقعة الذنب، فإنه يسأل ربه أن يباعد بينه وبين خطاياه أمدًا بعيدًا، فإن هذا أدعى للسلامة من الوقوع فيها.

المرتبة الثانية: ((اللهم نقني من خطاياي)) وهي مرتبة التنقية، والمراد والله أعلم: محو الذنوب وإزالتها، وهذه المرتبة تتناول الذنوب التي واقعها، فيطلب من ربه أن يمحوها ويزيلها عنه ويغفرها له.

المرتبة الثالثة: ((اللهم اغسلني من خطاياي)) وهي مرتبة الغسل، والمراد- والله أعلم-: إزالة أثر الذنب بعد فعله، وتصدق هذه الجملة على مَنْ تلبس بالذنب وواقعه، ثم تاب لربه فإنه يسأل ربه أن يزيل أثر الذنب عنه، فإن للذنوب أثرًا غير كتابتها، فكم من نظرة أورثت ندامة وأزالت علمًا، مع أنها قد تغفر لصاحبها، وذلك- والله أعلم- حتى لا يستوي من وقع بالذنب مع من لم يقع فيه.

فشملت هذه الجمل الثلاث " باعد – نقني – اغسلني" مراتب المؤمن أمام الذنوب، والله أعلم بأسرار شرعه.

وهناك رأي آخر في المراتب الثلاث قاله الكرماني رحمه الله: "يحتمل أن يكون في الدعوات الثلاث إشارة إلى الأزمنة الثلاثة، فالمباعدة للمستقبل، والتنقية للحال، والغسل للماضي".

دعاء الاستفتاح: بعض صيغه وروحانياته [٢/٣]

نواصل- بعون الله تعالى- الكلام على روحانيات الصيغة الأولى في استفتاح الصلاة:

- ومن روحانيات هذا الاستفتاح ((اللهم باعد بيني وبين خطاياي..)) إلخ أن تلتفت أخي المصلي إلى الحكمة مما ورد فيه من تشبيه للأمر المعنوي- المباعدة من الذنوب- بالأمر الحسي، وهذا له أثره على التفكُّر بالدعاء، ومعرفة معانيه ومقاصده، فإن المؤمن إذا دعا بطلب التنقية من الذنوب وذكر تنقية الثوب الأبيض من الدنس كان عارفًا بمعناها، مستظهرًا لمدلولها، ومثله إذا دعا ربه أن يغسله من ذنوبه بالماء والثلج والبرد أيضًا. وكلما كان الإنسان متفكرًا بمعنى دعائه، مدركًا له، كان ذلك أدعى للإجابة.

- ومن روحانيات هذا الاستفتاح: أن يُظهِر العبد لربه تمام ذله بين يديه، وأن الله هو مالك الأمر، وبيده كل شيء، وأن العبد ضعيف مذنب، وهذا من مقاصد العبادة؛ ولهذا يقول المستفتح: ((اللهم باعد بيني وبين خطاياي)) ويقول: ((اللهم نقني من خطاياي)) وهكذا؛ لأن العبد على هذا محتاج لله قبل الذنب بأن يباعد الله بينه وبين ذنبه، ومحتاج لربه بعد الذنب بأن ينقيه منه ومن أثره، وهذا تفسير لقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الآخر: ((لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك)).

- ومن روحانيات هذا الاستفتاح: أن تستحضر سبب طلبك المباعدة من الذنوب والخطايا وهو: أن الخطايا والذنوب تؤثر على مناجاة العبد لربه، فكلما سلم العبد منها، وتطهر من آثارها كانت المناجاة أتم، فلما كان المصلي بحاجة لتمام المناجاة، والذنوب تؤثر عليها صار العبد يطلب من ربه المباعدة بينه وبين خطاياه. وعلى هذا من أراد التلذذ بمناجاة الله فليطهر نفسه من الذنوب؛ فإن لها أثرًا في المنع.

- فمن روحانيات دعاء الاستفتاح أن تفقه معانيه وتعيش تلك المعاني بقلبك، وبخاصة إذا علمت أن "مناسبة دعاء الاستفتاح في أول الصلاة وقبل القراءة ظاهرة جدًّا، بل إنه لا يحسن به إلا هذا الموضع، فهو كالمقدمة بين يدي الملوك؛ لأن الفاتحة مناجاة ومخاطبة بين العبد وربه، وأي مناجاة ومحادثة من الأليق أن يتقدمها جمل ليست بالطويلة المملَّة.

*** *** ***

دعاء الاستفتاح: بعض صيغه وروحانياته [٣/٣]

نواصل- بعون الله تعالى- الكلام على روحانيات أدعية استفتاح الصلاة، والآن نعيش مع الصيغة الثانية:

عن أم المؤمنين عائشةَ رضي الله عنها قالت: كانَ رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا استفتحَ الصَّلاةَ قالَ: ((سبحانَكَ اللَّهمَّ وبحمدِكَ وتبارَكَ اسمُكَ وتعالى جَدُّكَ ولا إلَهَ غيرَكَ))؛ (رواه أبو داود والترمذي والنسائي، وصححه الألباني).

قال بعض العلماء: جمع هذا الدعاء أحب الكلام وهو: ((سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله))، وقد ثبت أنهن أفضل الكلام، فاجتمع لهذا النوع من الاستفتاح ميزتان:

الأولى: كونه مما يستفتح به في للصلاة.

الثانية: كونه أفضل الكلام.

وبُدئ في هذا الحديث بالتسبيح والتنزيه قبل التحميد؛ لأن موضوع هذا النوع من الاستفتاح كله تقديس وتمجيد لله، فناسب أن يبدأ بالتنزيه.

- قوله: ((سبحانك اللهم)): أبلغ في تخصيص التنزيه من قول: سبحان الله، وذلك لكاف الخطاب وهي تفيد الإغراق في تخصيص الخطاب، والصلاة مقام مخاطبة بين العبد وربه، فناسب تخصيص الخطاب.

- قوله: ((اللهم)): يدخل فيها جميع الأسماء الحسنى والصفات العلى، والمصلي يريد أن يخاطب ربه بأكبر قدر ممكن من الأسماء الحسنى.

قوله: ((وبحمدك)): أي: أبتدئ بحمدك، قرن بين التسبيح والتحميد؛ لأن التسبيح تنزيه عن صفات النقائص جميعًا، فاقتضى إثباتًا لصفات الكمال كلها وهو ما يشعر به التحميد.

قوله: ((وتبارك اسمك)): أي: كثر خيره.

قوله: ((وتعالى جدك)): أي: ارتفعت عظمتك، وهو متضمن لارتفاع الحظ والغنى المطلق وغيرها مما فسرها به أهل العلم. وكلمة ((تعالى)) أنسب من أي لفظ آخر مثل: تعاظم مثلًا أو غيرها، للتشاكل من حيث المعنى بينها وبين ((تبارك)) قبلها، فإن اللفظين يدلان على العلو والسعة.

- قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "فإذا قال: سبحانك اللهم وبحمدك وأثنى على الله تعالى بما هو أهله، فقد خرج بذلك عن الغفلة وأهلها، فإن الغفلة حجاب بينه وبين الله. وأتى بالتحية والثناء الذي يُخاطب به الملك عند الدخول عليه تعظيمًا له وتمهيدًا، وكان ذلك تمجيدًا ومقدمة بين يدي حاجته. فكان في الثناء من آداب العبودية، وتعظيم المعبود ما يستجلب به إقباله عليه، ورضاه عنه، وإسعافه بفضله حوائجه".

تفسير وروحانيات الاستعاذة [١/٢]

حديثنا في هذا المقال- بعون الله تعالى- يدور حول الاستعاذة وهي كما نعلم يقولها المصلي بعد دعاء الاستفتاح.

وهي قولك: ((أعوذ بالله من الشيطان الرجيم))، وهي مطلوبة على سبيل الندب؛ لحديث جبير بن مطعم أن النبي صلى الله عليه وسلم حين افتتح الصلاة قال: ((الله أكبر كبيرًا ثلاث مرات، والحمد لله كثيرًا ثلاث مرات، وسبحان الله بكرة وأصيلًا ثلاث مرات، ثم قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه ونفثه))؛ أخرجه أبو داود، وصححه الألباني في صحيح سنن ابن ماجه.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: "ومعنى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم؛ أي: أستجير بجناب الله من الشيطان الرجيم أن يضرني في ديني أو دنياي، أو يصدني عن فعل ما أمرت به، أو يحثني على فعل ما نهيت عنه؛ فإن الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا الله"؛ ا هـ.

فمن روحانيات الاستعاذة ما قاله بعض العلماء: "لا تتم الاستعاذة بالله إلا بأن يعلم العبد كونه عاجزًا عن جلب المنافع الدينية والدنيوية ودفع المضار العاجلة والآجلة، وأن الله تعالى قادر على إيصال المنافع ودفع المضار لا قدرة على ذلك لأحد سواه تعالى، وأن يعلم أنه لا يقدر أحد سوى الله على تحصيل مرامه، وأن يعرف عز الربوبية وذل العبودية، وأنه تعالى هو الذي أمر بالاستعاذة وجعلها سببًا لدفع الوساوس والهواجس".

ومن روحانيات الاستعاذة: أن تعلم أنك تقرؤها لكي تستفتح قراءة القرآن وفي ذلك من الفوائد- أشار إليه ابن القيم- أن القرآن شفاء لما في الصدور، يذهب لما يلقيه الشيطان فيها من الوساوس والشهوات والإرادات الفاسدة، والاستعاذة دواء طارد لما ألقاه فيها الشيطان فيجد القرآن مكانًا خاليًا من الداء فيتمكن منه ويؤثر فيه؛ [إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان – لابن القيم – (٧٤)].

ومن روحانيات الاستعاذة: أن تستحضر أن القرآن مادة الهدى والعلم والخير في القلب كالنبات، وكما أن الماء مادة النبات، والشيطان نار يحرق النبات أولًا فأولًا، فكلما أحس بنبات الخير من القلب سعى في إفساده وإحراقه فأُمِر الإنسان أن يستعيذ بالله عز وجل منه؛ لئلا يفسد عليه ما يحصل له بالقرآن من التحرك لفعل الخيرات ومكارم الأخلاق.

والفرق بين هذا الوجه والوجه الذي قبله أن الاستعاذة في الوجه الأول لأجل حصول فائدة القرآن، وفي الوجه الثاني لأجل بقائها وحفظها وثباتها.

تفسير وروحانيات الاستعاذة [٢/٢]

نواصل أخي الكريم وأختي الكريمة- بعون الله تعالى- الكلام على روحانيات الاستعاذة:

ومن روحانيات الاستعاذة: في الصلاة خاصة ما قاله ابن القيم رحمه الله تعالى: "فإذا شرع في القراءة قدَّم أمامها الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم؛ فإنه أحرص ما يكون على خُذلان العبد في مثل هذا المقام الذي هو أشرف مقامات العبد وأنفعها له في دنياه وآخرته، فهو أحرص شيء على صرفه عنه، وانتفاعه دونه بالبدن والقلب، فإن عجز عن اقتطاعه وتعطيله عنه بالبدن اقتطع قلبه وعطَّله، وألقى فيه الوساوس ليشغله بذلك عن القيام بحق العبودية بين يدي الرب تبارك وتعالى، فأمر العبد بالاستعاذة بالله منه ليسلم له مقامه بين يدي ربه وليحيي قلبه، ويستنير بما يتدبره ويتفهَّمه من كلام الله سيِّده الذي هو سبب حياة قلبه، ونعيمه وفلاحه، فالشيطان أحرص شيء على اقتطاع قلبه عن مقصود التلاوة.

ولما علم الله سبحانه وتعالى حَسَد العدو للعبد، وتفرُّغه له، وعلم عجز العبد عنه، أمره بأن يستعيذ به سبحانه، ويلتجئ إليه في صرفه عنه.

فيكتفي بالاستعاذة من مؤونة محاربته ومقاومته، وكأنه قيل له: لا طاقة لك بهذا العدو، فاستعذ بي أعيذك منه، واستجر بي أجيرك منه، وأكفيكه وأمنعك منه"؛ ا هـ.

ألا يستدعي ذلك كله أن يخشع قلبك وأن تدمع عينك؟!

ومن روحانيات الاستعاذة: ما أشار إليه الغزالي رحمه الله تعالى بقوله: وإذا قلت: ((أعوذ بالله من الشيطان الرجيم)) فاعلم أنه عدوك ومترصد لصرف قلبك عن الله عز وجل؛ حسدًا لك على مناجاتك مع الله عز وجل وسجودك له مع أنه لُعِن بسبب سجدة واحدة تركها ولم يوفَّق لها، وأنَّ استعاذتك بالله سبحانه منه بترك ما يحبه وتبديله بما يحب الله عز وجل لا بمجرد قولك، فإن من قصده سبع أو عدو ليفترسه أو يقتله فقال: أعوذ منك بذلك الحصن الحصين وهو ثابت على مكانه، فإن ذلك لا ينفعه.

واعلم أن من مكايده أن يشغلك في صلاتك بذكر الآخرة وتدبير فعل الخيرات؛ ليمنعك عن فهم ما تقرأ. فاعلم أن كل ما يشغلك عن فهم معاني قراءتك فهو وسواس، فإن حركة اللسان غير مقصودة بل المقصود معانيها.

من معاني وروحانيات تلاوة سورة الفاتحة [١/ ١١]

سنبدأ في هذا المقال- بعون الله تعالى- مجموعة من المقالات للكلام حول روحانيات تلاوة سورة الفاتحة (ونسأل الله أن يرزقنا الخشوع له تعالى في صلواتنا كلها).

يقول أحد الدعاة: دُعيت لإلقاء محاضرة عن الصلاة في إحدى الجامعات. فدخلتُ القاعة في الموعد المحدد وأنا أحمل في يدي ورقة فألقيت التحية على الحضور ثم قرأت الورقة بسرعة شديدة لا يكاد السامع يميز بعض حروفها فبدت علامة الدهشة على وجوه الجميع من هذا التصرف، ثم اعتذرت لهم وقلت: اسمحوا لي، عندي موعد هامٌّ... ثم خرجت من القاعة ورجعت بعد دقائق محدودة وقلت لهم لعلكم غضبتم من تصرفي هذا معكم؟ لقد غضبتم عليَّ وأنا فعلت هذا معكم مرة واحدة، فكيف ونحن نفعل هذا مع الله في اليوم خمس مرات... لأننا نقرأ القرآن في صلاتنا بسرعة شديدة لا نكاد نفهمها.

- فمن روحانيات تلاوة سورة الفاتحة إجمالًا: ما أشار إليه ابن القيم رحمه الله بقوله: "إذا أخذ العبد في قراءة القرآن، فقد قام في مقام مخاطبة ربِّه ومناجاته، فليحذر كل الحذر من التعرُّض لمقته وسخطه، بأن يناجيه ويخاطبه، وقلبه معرِض عنه، ملتفت إلى غيره، فإنه يستدعي بذلك مقته، ويكون بمنزلة رجل قرَّبه ملك من ملوك الدنيا، وأقامه بين يديه فجعل يخاطب الملك، وقد ولَّاه قفاه، أو التفت عنه بوجهه يَمْنةً ويَسْرةً، فهو لا يفهم ما يقول الملك، فما الظن بمقت الملك لهذ؟! فما الظن بمقت الملك الحق المبين رب العالمين وقيوم السماوات والأرضين؟!".

- ومن روحانيات تلاوة سورة الفاتحة إجمالًا: استحضار المعنى الذي أشار إليه أحد العارفين بقوله: "والمتدبر للقرآن يلحظ بأنه في دخوله لرحاب الصلاة غريب كل الغرابة عن عالم الحس والمشاهدة، فلا يخاطب سوى الله عز وجل في قرآنه، ولا يطير حرًّا طليقًا سوى في عالم الغيب الفسيح بذكر الجنة والنار وأحوال اليوم الآخر؛ أي: إن هناك عالمًا آخر دخل له المؤمن في صلاته بعيد عن عالم التراب والظواهر".

ألا يستدعي ذلك كله أن يخشع قلبك وأن تدمع عينك؟!

- ومن روحانيات تلاوة سورة الفاتحة إجمالًا: - كما قال ابن القيم - الوقوف عند كل آية من الفاتحة وقفة يسيرة، ينتظر جواب ربِّه له، وكأنه يسمعه وهو يقول ما ورد في الحديث القدسي: ((قالَ اللَّهُ تَعالَى: قَسَمْتُ الصَّلاةَ بَيْنِي وبيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، ولِعَبْدِي ما سَأَلَ، فإذا قالَ العَبْدُ: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ العالَمِينَ﴾، قالَ اللَّهُ تَعالَى: حَمِدَنِي عَبْدِي، وإذا قالَ: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾، قالَ اللَّهُ تَعالَى: أثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، وإذا قالَ: ﴿مالِكِ يَومِ الدِّينِ﴾، قالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، وقالَ مَرَّةً: فَوَّضَ إلَيَّ عَبْدِي، فإذا قالَ: ﴿إيَّاكَ نَعْبُدُ وإيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

قالَ: هذا بَيْنِي وبيْنَ عَبْدِي، ولِعَبْدِي ما سَأَلَ، فإذا قالَ: ﴿ اهْدِنا الصِّراطَ المسْتَقِيمَ صِراطَ الَّذِينَ أنْعَمْتَ عليهم غيرِ المغْضُوبِ عليهم ولا الضَّالِّينَ﴾ قالَ: هذا لِعَبْدِي ولِعَبْدِي ما سَأَلَ))؛ رواه مسلم، وتأمَّل قوله: ((ولِعَبْدِي ما سَأَلَ)).

*** *** ***

-56-

من معاني وروحانيات تلاوة سورة الفاتحة [٢/ ١١]

نتابع- بعون الله تعالى- الكلام على روحانيات تلاوة سورة الفاتحة (ونسأل الله أن يرزقنا الخشوع له تعالى في صلواتنا كلها).

* وحديثنا في هذه الحلقة حول تفسير وروحانيات قوله تعالى: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١]:

قال القرطبي رحمه الله تعالى: ﴿ بسم الله﴾ يعني: بدأت بعون الله وتوفيقه وبركته، وهذا تعليم من الله تعالى عباده، ليذكروا اسمه سبحانه عند افتتاح القراءة وغيرها، حتى يكون الافتتاح ببركة الله جل وعز.

ومعنى اسم الجلالة (الله) هو اللفظ الجليل الجامع لكل صفات الكمال التي لا بد أن يتصف بها الخالق العظيم، ومعناه: المألوه؛ أي: المعبود أو المستحق للعبادة لما اتصف به من صفات الألوهية التي هي صفات الكمال، التي يدل عليها الأسماء الحسنى جميعها، أوجب له أن يعلق بربِّه حبَّه وخوفَه ورجاءَه، وأناب إليه في كل أموره، وقطع الالتفات إلى غيره من المخلوقين ممن ليس له من نفسه كمال ولا له فعال؛ ا هـ. (من تفسير أسماء الله الحسنى للسعدي- باختصار وتصرف).

فمن روحانيات ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾استحضار ما قاله الغزالي: "إذا قلت ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فانْوِ به التبرُّك لابتداء القراءة لكلام الله سبحانه، وافهم أن الأمور كلها بالله سبحانه. وأن المراد بالاسم ههنا هو المسمى. وإذا كانت الأمور بالله سبحانه فلا جرم كان ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفاتحة: ٢] ومعناه: أن الشكر لله؛ إذ النعم من الله. ومن يرى من غير الله نعمة أو يقصد غير الله سبحانه بشكر لا من حيث إنه مسخَّر من الله عز وجل، ففي تسميته وتحميده نقصان بقدر التفاته إلى غير الله تعالى"؛ ا هـ. وسيأتي الكلام على قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٣] بعد قليل؛ لأنها آية منفصلة.

تفسير وروحانيات ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]: تجد تحت هذه الكلمة إثبات كلّ كمال للرب وصفًا واسمًا، وتنزيهه سُبحَانه وبحمده عن كلِّ سوء، فعلًا ووصفًا واسمًا، وإنما هو محمود في أفعاله وأوصافه وأسمائه، مُنزَّه عن العيوب والنقائص في أفعاله وأوصافه وأسمائه. فأفعاله كلّها حكمة ورحمة ومصلحة وعدل

ولا تخرج عن ذلك، وأوصافه كلها أوصاف كمال، ونعوت جلال، وأسماؤه كلّها حُسنى. كما قاله ابن القيم رحمه الله.

*** *** ***

-57-

من معاني وروحانيات تلاوة سورة الفاتحة [١١/٣]

نتابع- بعون الله تعالى- الكلام على روحانيات تلاوة سورة الفاتحة (ونسأل الله أن يرزقنا الخشوع له تعالى في صلواتنا كلها).

* وحديثنا في هذه الحلقة حول تفسير وروحانيات قوله تعالى: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]

قال أحد الباحثين: "الرب هو الذي أوجد كل شيء، وأمدّه، ورعاه، وقام على كل نفسٍ بما كسبت. ففي معنى اسم الله الرب تجد: صفة الخلق، وصفة الرزق، وصفة التدبير، وتجد كذلك صفة القيومية؛ يقول الله: ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [الرعد: ٣٣].

- ومن روحانيات: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أن تستشعر أن حمده تعالى قد ملأ الدنيا والآخرة، والسموات والأرض، وما بينهما وما فيهما، فالكون كلّه ناطق بحمده، والخلق والأمر كلّه صادر عن حمده، وقائم بحمده، ووجوده وعدمه بحمده، فحمدُه هو سبب وجود كل شيء موجود، وهو غاية كل موجود، وكلُّ موجودٍ شاهِدٌ بحمده، فإرساله رسله بحمده، وإنزاله كتبه بحمده، والجنة عُمِّرت بأهلها بحمده، والنَّار عُمِّرت بأهلها بحمده، كما أنَّهما إنَّما وجدتا بحمده.

ألا يستدعي ذلك كله أن يخشع قلبك وأن تدمع عينك؟!

- ومن روحانيات: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ ما أشار إليه ابن القيم رحمه الله بقوله: "أن تعلم أنه سبحانه وتعالى المحمود لذاته، وإن لم يحمده العباد، كما أنه هو الواحد الأحد، وإن لم يوحِّده العباد، وهو الإله الحقُّ وإن لم يؤلِّهه العبد، فسبحانه هو الذي حِمد نفسه على لسان الحامد كما قال النبي صلى الله عليه وسلم: ((إن الله تعالى قال على لسان نبيه: سَمِعَ اللّهُ لمن حَمِدَه))؛ رواه مسلم.

- فهو الحامدُ لنفسه في الحقيقة على لسان عبده، فإنه هو الذي أجرى الحمدَ على لسانه وقلبه، وإجراؤه بحمده فله الحمد كله، وله الملك كله، وبيده الخير كله، وإليه يرجع الأمر كله، علانيته وسرُّه. فهذه المعرفة نبذة يسيرة من معرفة عبودية الحمد، وهي نقطة من بحر لُجِّي من عبوديته.

- ومن روحانيات: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾: أن يعلم- المصلي- أن حمده لربه نعمة مِنه عليه، يستحق عليها الحمد، فإذا حمده عليها استحقَّ على حمده حمدًا آخر، وهلَّم جرًّا.

فالعبد ولو استنفد أنفاسه كلَّها في حمد ربه على نعمة من نعمه، كان ما يجب عليه من الحمد عليها فوق ذلك، وأضعاف أضعافه، ولا يُحصي أحد البتَّة ثناءً عليه بحمده، ولو حمده بجميع المحامد، فالعبد سائر إلى الله بكلِّ نعمة من ربِّه، يحمده عليها، فإذا حَمده على صرفها عنه، حمده على إلهامه الحمد.

قال الأوزاعي رحمه الله تعالى: "سمعت بعض قوَّال ينشد في حمامٍ:

لك الحمدُ إمّا على نعمةٍ= وإمَّا على نقمة تُدفع".

*** *** ***

-58-

من معاني وروحانيات تلاوة سورة الفاتحة [٤/ ١١]

نتابع- بعون الله تعالى- الكلام على روحانيات تلاوة سورة الفاتحة (ونسأل الله أن يرزقنا الخشوع له تعالى في صلواتنا كلها).

وحديثنا في هذه الحلقة حول تفسير وروحانيات قوله تعالى: ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٣]: أما تفسير هذين الاسمين الكريمين فقد قال السعدي: ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ اسمان دالَّان على أنه تعالى ذو الرحمة الواسعة العظيمة التي وسعت كل شيء، وعمَّت كل حي، وكَتَبَها للمتقين المتبعين لأنبيائه ورسله. فهؤلاء لهم الرحمة المطلقة، ومن عداهم فلهم نصيب منها.

فمن روحانيات ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾: ما أشار إليه ابن القيم رحمه الله بقوله: إن لـ ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ عبودية تخصه سبحانه، وهي شهود العبد عموم رحمته، وشمولها لكلّ شيء، وسعتها لكلِّ مخلوق وأخذ كلّ موجود بنصيبه منها، ولا سيما الرحمة الخاصَّة بالعبد وهي التي أقامته بين يدي ربه، ففي بعض الآثار أن جبرائيل يقول- كل ليلة - "أقم فلانًا وأنم فلانًا" فبرحمته للعبد أقامه في خدمته يناجيه بكلامه، ويتملقه ويسترحمه ويدعوه ويستعطفه ويسأله هدايته ورحمته، وتمام نعمته عليه في دنياه وأخراه، فهذا من رحمته بعبده، فرحمته وسعت كل شيء، كما أن حمده وسع كل شيء، وعلمه وسع كل شيء، ﴿ رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾ [غافر: ٧]، وغيره مطرود محروم قد فاتته هذه الرحمة الخاصَّة فهو منفي عنها.

ومن روحانيات ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾: ما قاله بعض العلماء: "فإذا قرأ المؤمن: ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ استشعر صور الرحمة الإلهية التي أنارت الوجود كله وكانت سببًا للحياة؛ إذ لا عيش لموجود دون تلك الرحمة الإلهية التي تُرَى في كل شيء: من دوران للأرض وضياء للشمس وسكب لمياه الرحمة وخلق للمحيطات ووهب للهواء وإعطاء للأعضاء والجوارح وقوى الإدراك.. كل ذلك لهذا الإنسان الظلوم الجهول، وهكذا فكل ما

خلقه سبحانه في الكون من كائنات إنْ تأملت الغايةَ مِنْ خلْقها بَدَت لك بجلاء الرحمة وتذكرت الحب الإلهي لهذا المخلوق الضعيف الذي تستهويه النعمة فيقف عندها ناسيًا مالكها وخالقها عز وجل سبحانه".

ألا يستدعي ذلك كله أن يخشع قلبك وأن تدمع عينك؟!

ولما كان قوله: ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ إعادة وتكريرًا لأوصاف كماله قال: ((أثنى عليَّ عبدي)) فإنَّ الثناء إنَّما يكون بتكرار المحامد، وتعداد أوصاف المحمود، فالحمد ثناء عليه، و﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ وصفه بالرحمة.

*** *** ***

-59-

من معاني وروحانيات تلاوة سورة الفاتحة [٥/ ١١]

نتابع- بعون الله تعالى- الكلام على روحانيات تلاوة سورة الفاتحة (ونسأل الله أن يرزقنا الخشوع له تعالى في صلواتنا كلها).

وحديثنا في هذه الحلقة حول تفسير وروحانيات قوله تعالى: ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴾ [الفاتحة: ٤]: أما تفسيرها: فقد قال الرازي رحمه الله تعالى: قوله: ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾؛ أي: مالك يوم البعث والجزاء، وتقريره: أنه لا بد من الفرق بين المحسن والمسيء، والمطيع والعاصي، والموافق والمخالف، وذلك لا يظهر إلا في يوم الجزاء، كما قال تعالى: ﴿ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

وقال تعالى: ﴿ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨].

فمن روحانيات ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] ما قاله ابن القيم رحمه الله: "ويعطى قوله: ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ عبوديته من الذلِّ والانقياد، وقصد العدل والقيام بالقسط، وكفّ العبد نفسه عن الظلم والمعاصي، وليتأمل ما تضمنته من إثبات المعاد وتفرّد الربِّ في ذلك بالحكم بين خلقه، وأنه يومٌ يدين الله فيه الخلق بأعمالهم من الخير والشر، وذلك من تفاصيل حمده، وموجبه كما قال تعالى: ﴿ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الزمر: ٧٥].

- ولما وصف العبد ربه بتفرُّده بملك يوم الدين وهو الملك الحق، مالك الدنيا والآخرة؛ وذلك متضمّن لظهور عدله، وكبريائه وعظمته، ووحدانيته، وصدق رُسله، سمَّى هذا الثناء مجدًا فقال: ((مجَّدني عبدي)) فإن التمجيد هو: الثناء بصفات العظمة، والجلال، والعدل، والإحسان.

ومن روحانيات ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ما أشار إليه بعضهم بقوله: إن العبد يطمئن للعدل الإلهي الذي لا يُقاس بِحُكم غيره، وظهر له المِلْك الأعظم لله سبحانه في ذلك اليوم الرهيب، ورأى العالَمين وكلَّ موجود لابسًا سربالًا من الذل والانكسار في ذلك اليوم الذي أُعْلِن فيه ألَّا مَلِكَ حقيقة إلا الله، وألَّا سطوة بقيت للظلمة والطواغيت لترى الكلَّ خاضعًا لله سبحانه خضوعًا اضطراريًّا مطلقًا، ولِتُدرِك عبث ما كان عليه القوم في أرض الوهم والغرور.

ومن روحانيات ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ ما قاله الغزالي: "ثم استثر من قلبك التعظيم والخوف بقولك: ﴿ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أما العظمة فلأنه لا ملك إلا له، وأما الخوف فلهول يوم الجزاء والحساب الذي هو مالكه".

*** *** ***

-60-

من معاني وروحانيات تلاوة سورة الفاتحة [٦/ ١١]

نتابع- بعون الله تعالى- الكلام على روحانيات تلاوة سورة الفاتحة (ونسأل الله أن يرزقنا الخشوع له تعالى في صلواتنا كلها).

وحديثنا في هذه الحلقة حول تفسير وروحانيات قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]:

أما تفسيرها: وقوله: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾؛ أي: نخصك وحدك بالعبادة والاستعانة؛ لأن تقديم المعمول يفيد الحصر، وهو إثبات الحكم للمذكور، ونفيه عما عداه. فكأنه يقول: نعبدك، ولا نعبد غيرك، ونستعين بك ولا نستعين بغيرك. وتقديم العبادة على الاستعانة من باب تقديم العام على الخاص، واهتمامًا بتقديم حقه تعالى على حق عبده.

والعبادة: هي اسم جامع لما يحبه الله ويرضاه من الأعمال، والأقوال الظاهرة والباطنة. كما قاله ابن تيمية رحمه الله في رسالة العبودية.

والاستعانة: هي الاعتماد على الله تعالى في جلب المنافع، ودفع المضارِّ، مع الثقة به في تحصيل ذلك. والقيام بعبادة الله والاستعانة بهما هو الوسيلة للسعادة الأبدية، والنجاة من جميع الشرور. فلا سبيل إلى النجاة إلا بالقيام بهما. وإنما تكون العبادة عبادة، إذا كانت مأخوذة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم مقصودًا بها وجه الله. فبهذين الأمرين تكون عبادة.

وذكر (الاستعانة) بعد (العبادة) مع دخولها فيها؛ لاحتياج العبد في جميع عباداته إلى الاستعانة بالله تعالى. فإنه إن لم يعنه الله, لم يحصل له ما يريده من فعل الأوامر, واجتناب النواهي.

فمن روحانيات ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: ما قاله الغزالي: "ثم جدد الإخلاص بقولك: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ وجدد العجز والاحتياج والتبري من الحول والقوة بقولك: ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾، وتحقق أنه ما تيسرت طاعتك إلا بإعانته، وأن له المنة؛ إذ وفقك لطاعته، واستخدمك لعبادته، وجعلك أهلًا لمناجاته. ولو حرمك التوفيق لكنت من المطرودين مع الشيطان اللعين.

ومن روحانيات ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: أن المصلي يكون قد أتى إلى الصلاة بعد وقوعه في ذنب من الذنوب فإذا قرأ هذه الآية خجل من نفسه، كيف ينطق لسانه بـ ﴿ نَعْبُدُ﴾ وهو يعصي، وكان لتوه يمارس المعصية بل قد تكون تلك المعصية من الكبائر، حينها يعلم مدى حقارة نفسه وقبائح أعماله في الحياة.. ولولا لطف الله تعالى به وستره عليه لما استطاع الوقوف بين يديه، فإذا جال بخاطره هذا الخاطر ألا ينبغي أن يسبل الدمع من عينيه.

*** *** ***

-61-

من معاني وروحانيات تلاوة سورة الفاتحة [١١/٧]

نتابع- بعون الله تعالى- الكلام على روحانيات تلاوة سورة الفاتحة (ونسأل الله أن يرزقنا الخشوع له تعالى في صلواتنا كلها).

وحديثنا في هذه الحلقة حول تفسير وروحانيات قوله تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]:

ومن روحانيات ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: أن المصلي قد يكون كثير الغفلة عن ربه، مضيعًا لأوقاته، فلا يكون يذكر الله قبل صلاته إلا قليلًا؛ فمثلًا من بعد صلاة الصبح إلى الظهر لا يكاد يكون الواحد فينا سبح الله أو ذكره بأي نوع من الذكر إلى أن تأتي صلاة الظهر، حينها يتذكر أنه عبدٌ، ومن واجبه ألا يغفل عن ذكر ربه جل وعلا فإذا دخل في الصلاة وقال: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ كاد أن يجزم بعدم صدقه في نطقه بها وهو العبد الغافل.

فإذا جال بخاطره هذا الخاطر ألا ينبغي أن يسبل الدمع من عينيه؟!

ومن روحانيات ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: ما قاله ابن القيم: "وتأمل عبودية هاتين الكلمتين وحقوقهما، وميّز الكلمة التي لله سبحانه وتعالى، والكلمة التي للعبد، وفقِه سرَّ كون إحداهما لله، والأخرى للعبد، وميّز بين التوحيد الذي تقتضيه كلمة ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ والتوحيد الذي تقتضيه كلمة ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وفقِهَ سرَّ كون هاتين الكلمتين في وسط السورة بين نوعي الثناء قبلهما، والدعاء بعدهما، وفقِه

تقديمَ ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على ﴿ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وتقديمَ المعمول على العامل مع الإتيان به مؤخرًا أوجز وأخضر، وسرَّ إعادة الضمير مرَّة بعد مرة".

ومن روحانيات ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾: ما قاله ابن القيم أيضًا: "إياك نعبد؛ أي: إياك أريد بعبادتي، وهو يتضمن العمل الصالح الخالص، والعلم النافع الدال على الله، معرفة ومحبة، وصدقًا وإخلاصًا، فالعبادة حق الرب تعالى على خلقه، والاستعانة تتضمن استعانة العبد بربه على جميع أموره، وهي القول المتضمن قسم العبد.

فكل عبادة لا تكون لله وبالله فهي باطلة مضمحلة، وكل استعانة لا تكون بالله وحده فهي خذلانٌ وذل. وتأمل علم ما ينفع العباد وما يدفع عنهم كل واحد من هاتين الكلمتين من الآفة المنافية للعبودية نفعًا ودفعًا وكيف تدخل العبد هاتان الكلمتان في صريح العبودية".

فائدة: قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "وتأمل كيف يدور عِلم القرآن كلّه من أوّله إلى آخره عليهما- يعني جملتي ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ وكذلك الخلق، والأمر والثواب والعقاب والدنيا والآخرة، وكيف تضمَّنتا لأجلِّ الغايات، وأكمل الوسائل، وكيف أتى بهما بضمير المخاطب الحاضر، دون ضمير الغائب، وهذا موضوع يستدعي كتابًا كبيرًا.

*** *** ***

-62-

من معاني وروحانيات تلاوة سورة الفاتحة [١١/٨]

نتابع- بعون الله تعالى- الكلام على روحانيات تلاوة سورة الفاتحة (ونسأل الله أن يرزقنا الخشوع له تعالى في صلواتنا كلها).

وحديثنا الآن حول تفسير وروحانيات قوله تعالى: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]:

تفسيرها: قال ابن جرير رحمه الله تعالى: "أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعًا على أن الصراط المستقيم هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه، وكذلك في لغة جميع العرب، فمن ذلك قول جرير بن عطية الخطفي:

أمير المؤمنين على صراط = إذا اعوجّ الموارد مستقيم

ثم اختلفت عبارات المفسرين من السلف والخلف في تفسير الصراط، وإن كان يرجع حاصلها إلى شيء واحد، وهو المتابعة لله وللرسول صلى الله عليه وسلم.

فمن روحانيات ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: أن فيه أسمى ألوان الأدب؛ لأن هذا الدعاء قد تضرع به المؤمنون إلى خالقهم بعد أن اعترفوا له سبحانه قبل ذلك بأنه هو المستحق لجميع المحامد، وأنه هو رب العالمين، والمتصرف في أحوالهم يوم الدين، كما قاله بعضهم.

ومن روحانيات ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: استحضار ما قاله ابن القيم رحمه الله تعالى: "ثم ليتأمل العبد ضرورته وفاقته إلى قوله: ﴿ اهدنا الصِّراط المستقيم﴾ الذي مضمونه معرفة الحق، وقصده وإرادته والعمل به، والثبات عليه، والدعوة إليه، والصبر على أذى المدعو إليه فباستكمال هذه المراتب الخمس يستكمل العبد الهداية وما نقص منها نقص من هدايته.

ومن روحانيات ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: أن تعلم أن وقوفك بين يدي الله الآن نوع من الهداية إلى الصراط المستقيم، ولولا هدايته لك لما حبب إليك الصلاة، ولما وفقك للقيام بها، ولولا هدايته لك لما حركك نحوها؛ بل لشغلك بالدنيا أو نسيت الصلاة حتى خرج وقتها ﴿ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [هود: ٨٨] واستشعار هذا المعنى يدعو إلى التبرؤ من حولك وقوّتك إلى حول الله تعالى وقوّته، ما دام الأمر كذلك، فطلبي للهداية في كل صلاة يعني الثبات عليها والازدياد منها وامتلاء القلب بحبها وحب أهلها والدعوة إليها، وتلك هي التي تسمى بهداية التوفيق.

*** *** ***

-63-

من معاني وروحانيات تلاوة سورة الفاتحة [١١/٩]

نتابع- بعون الله تعالى- الكلام على روحانيات تلاوة سورة الفاتحة (ونسأل الله أن يرزقنا الخشوع له تعالى في صلواتنا كلها).

وحديثنا في هذه الحلقة حول تفسير وروحانيات قوله تعالى: ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾ [الفاتحة: ٦]:

ومن روحانيات ﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾: أن تستشعر قول الله لك: ((هذا لعبدي ولعبدي ما سأل)) وإذا أعطاك ما سألت فأنت لن تسير في دروب هذه الحياة إلا بنور من الله تعالى، فلا تخاف على فوات دنياك، ولن يقع منك انحراف في دينك وإيمانك وعقيدتك وسولكك؛ لأنه أعطاك سبحانه الهداية التي طلبتها منه على قدر علمه بها لا على قدر علمك.

ألا يستدعي ذلك كله أن يخشع قلبك وأن تدمع عينك؟!

ولذا قال ابن القيم رحمه الله: "ولما كان العبد مفتقرًا إلى هذه الهداية في ظاهره وباطنه، بل وفي جميع ما يأتيه ويذره من أنواع الهدايات التي يفتقر لها العبد، دعا بهذا الدعاء، فأصبح أهم مطلب في الحياة أن يهديه ربه إلى الصراط المستقيم، أوله هنا في الدنيا وآخره في الجنة"؛ ا هـ.

وقال ابن القيم في بيان أنواع الهداية التي يحتاج إليها العبد:

- أمور فعلها على غير الهداية علمًا وعملًا وإرادة، فهو محتاج إلى التوبة منها، وتوبته منها هي من الهداية.
- وأمور قد هُدي إلى أصلها دون تفصيلها فهو محتاج إلى هداية تفاصيلها.
- وأمور هو خالٍ عن اعتقاد فيها، فهو محتاج إلى الهداية فيها اعتقادًا صحيحًا.
- وأمور من الهداية: هو قادر عليها، ولكن لم يخلق له إرادة فعلها، فهو محتاج في تمام الهداية إلى خلق إرادة.
- وأمور منها: هو غير قادر على فعلها مع كونه مريدًا لها، فهو محتاج في هدايته إلى إقدار عليها.

وأمور منها: هو غير قادر عليها ولا مريد لها، فهو محتاج إلى خلق القدرة عليها والإرادة لها لتتم له الهداية.

- وأمور: هو قائم بها على وجه الهداية اعتقادًا وإرادة، وعلمًا وعملًا، فهو محتاج إلى الثبات عليها واستدامتها، فكانت حاجته إلى سؤال الهداية أعظم الحاجات، وفاقته إليها أشد الفاقات؛ ولهذا فرض عليه الرب الرحيم هذا السؤال على العبيد كلّ يوم وليلة في أفضل أحواله، وهي الصلوات الخمسُ، مرات متعددة؛ لشدَّة ضرورته وفاقته إلى هذا المطلوب.

*** *** ***

-64-

من معاني وروحانيات تلاوة سورة الفاتحة [١٠/١١]

نتابع- بعون الله تعالى- الكلام على روحانيات تلاوة سورة الفاتحة (ونسأل الله أن يرزقنا الخشوع له تعالى في صلواتنا كلها).

وحديثنا الآن حول تفسير وروحانيات قوله تعالى: ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٧]:

أما تفسيرها: اهدنا يا ربنا إلى طريقك المستقيم، الذى يوصلنا إلى سعادة الدنيا والآخرة، ويجعلنا مع الذين أنعمت عليهم من خلقك، وجنِّبنا يا مولانا طريق الذين غضبت عليهم من الأمم السابقة أو الأجيال اللاحقة بسبب سوء أعمالهم، وجنِّبنا طريق الذين هاموا في الضلالات، فانحرفوا عن القصد، وحق عليهم العذاب.

فمن روحانيات ﴿ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾: أن تستحضر أن الوصول إلى معية الذين أنعم الله عليهم تقتضي معرفتهم ومعرفة صفاتهم، وقد كفانا الله مؤنة البحث عنهم فقال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ

﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

ومن روحانيات ﴿صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ﴾: أن تتخيل نيلك تلك المعية بفضل الله تعالى بعد دخولك الجنة، واسمع هذا الحديث: عن عائشة رضي الله عنها قالت: جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله: إنك لأحب إلي من نفسي، وأحب إلي من أهلي، وأحب إلي من ولدي، وإني لأكون في البيت فأذكرك فما أصبر حتى آتيك فأنظر إليك، وإذا ذكرت موتي وموتك عرفت أنك إذا دخلت الجنة رُفعت مع النبيين، وإن دخلتُ الجنة خشيت ألا أراك، فلم يرد عليه النبي صلى الله عليه وسلم حتى نزلت عليه: ﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩] [رواه الحافظ أبو عبد الله المقدسي في كتابه: "صفة الجنة " وقال: لا أرى بإسناده بأسًا والله أعلم].

وأقول: إن هذه المعية لـ ﴿النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ لن تحصل يوم القيامة إلا إذا كان المتأهل لها عاشها في الدنيا، فهو معهم في موافقته لهم في الإيمان وما يتعلق به، ومعهم في الاقتداء بهم في عباداتهم، ومعهم في سلوكهم وجميل صفاتهم ومكارم أخلاقهم وهو معهم في استحضار صورهم لشدة حبه لهم فيتمنى رؤيتهم في المنام بل قد يكرمه الله تعالى برؤيتهم، إن صدق في حبه لهم واشتياقه لرؤيتهم.

ألا يستدعي ذلك كله أن يخشع قلبك وأن تدمع عينك؟!

من معاني وروحانيات تلاوة سورة الفاتحة [١١/١١]

في هذه الحلقة نتابع- بعون الله تعالى- الكلام على روحانيات تلاوة سورة الفاتحة (ونسأل الله أن يرزقنا الخشوع له تعالى في صلواتنا كلها).

وحديثنا في هذا المقال حول تفسير وروحانيات قوله تعالى: ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧]:

أما تفسيرها: قال الشعراوي رحمه الله: "وقوله تعالى: ﴿ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾؛ أي: غير الذين غضبت عليهم يا رب من الذين عصوا، ومنعت عنهم هداية الإعانة.. الذين عرفوا المنهج فخالفوه وارتكبوا كل ما حرمه الله فاستحقوا غضبه. ومعنى ذلك: أي يا رب لا تيسر لنا الطريق الذي نستحق به غضبك كما استحقه أولئك الذين غيَّروا وبدَّلوا في منهج الله ليأخذوا سلطة زمنية في الحياة الدنيا وليأكلوا أموال الناس بالباطل ".

قول الله تعالى: ﴿ وَلَا الضَّالِّينَ﴾ قال الشعراوي رحمه الله: "هناك الضالّ والْمُضِل.. الضالّ هو الذي ضل الطريق فاتخذ منهجًا غير منهج الله.. ومشى في الضلالة بعيدًا عن الهدى وعن دين الله.. ويقال: ضل الطريق؛ أي: مشى فيه وهو لا يعرف السبيل إلى ما يريد أن يصل إليه.. أي إنه تاه في الدنيا فأصبح وليًّا للشيطان وابتعد عن طريق الله المستقيم.. هذا هو الضالّ.. ولكن المضِلّ هو من لم يكتفِ بأنه ابتعد عن منهج الله وسار في الحياة على غير هدى.. بل يحاول أن يأخذ غيره إلى الضلالة.. يغري الناس بالكفر وعدم اتباع المنهج والبعد عن طريق الله.. وكل واحد من العاصين يأتي يوم القيامة يحمل ذنوبه.. إلا المضِلّ فإنه يحمل ذنوبه وذنوب مَنْ أضلهم، مصداقًا لقوله سبحانه: ﴿ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥]؛ أي: إنك وأنت تقرأ الفاتحة.. فإنك تستعيذ بالله أن تكون من الذين ضلوا.. ولكن الحق سبحانه وتعالى لم يأتِ هنا بالمضلّين. نقول: إنك لكي تكون مضلًّا لا بد أن تكون ضالًّا أولًا.. فالاستعاذة من الضلال هنا تشمل الاثنين؛ لأنك ما دمت قد استعذت من أن تكون ضالًّا فلن تكون مُضِلًّا أبدًا".

* تفسير وروحانيات التأمين: قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "وشرع له التأمين في آخر هذا الدعاء تفاؤلًا بإجابته، وحصوله، وطابعًا عليه، وتحقيقًا له؛ ولهذا اشتد حسدُ اليهود للمسلمين عليه حين سمعُوهم يجهرون به في صلاتهم".

قلت: يشير إلى حديث عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((ما حسدتكم اليهود على شيء ما حسدتكم على السلام والتأمين))؛ رواه البخاري في الأدب المفرد، وأحمد، وصححه البوصيري.

*** *** ***

-66-

روحانيات الركوع وما يقال فيه من التسبيحات [١/٦]

سنبدأ في هذا المقال- بعون الله تعالى- مجموعة من المقالات للكلام على الركوع وروحانياته وما يقال فيه من التسبيحات (ونسأل الله أن يرزقنا وإياكم الخشوع له تعالى في صلواتنا كلها):

هو الركن الفعلي الثاني بعد القيام وقد ورد في القرآن أكثر من عشر مرات، منها:

قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٣] وقوله تعالى: ﴿ يَامَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ [آل عمران: ٤٣].

أقول: ولولا ما للركوع من التأثير في قلب الراكع لما ذكره الله تعالى بهذا العدد بل لقد مدح الله تعالى الراكعين كما هو واضح من هذه الآيات، فهل يا ترى من الممكن أن يكون المدح لفعل الركوع ومجرد انحناء الجسد أم أن هناك أمرًا آخر وراء ذلك هو أهم وأعظم، هذا ما ستكتشفه في الكلام التالي:

لا يخفى عليك أخي المصلي أن المراد من الركوع الانحناء في الصلاة بقصد الخضوع لله تعالى، فلا يكفي الخضوع بلا انحناء ولا انحناء دون الخضوع كالانحناء لتناول شيء ما.

فمن روحانيات الركوع: أن يستحضر المصلي معنًى هامًّا؛ ألا وهو أن تتلفَّتَ حولك فتنظر إلى من ينحني لأجل الفن أو الرياضة أو التمثيل، ويظن أنه بذلك أدى دورًا في حياته وقام برسالة تأييد لتلك الأمور التافهة.. بينما أنت أكرمك الله تعالى وجعلك تنحني لعظمته هو وحده وهو الذي وفَّقك لتركع له جل وعلا. ألا يستدعي ذلك أن يخشع قلبك وأن تدمع عينك؟!

ومن روحانيات الركوع: ما أشار إليه الغزالي رحمه الله تعالى بقوله: ثم تستأنف له ذلًّا وتواضعًا بركوعك، وتجتهد في ترقيق قلبك وتجديد خشوعك، وتستشعر ذلك، كما يجب أن تستشعر عز مولاك واتضاعك وعلو ربك، وتستعين على تقرير ذلك في قلبك بلسانك، فتسبح ربك وتشهد له بالعظمة وأنه أعظم من كل عظيم، وتكرر ذلك على قلبك لتؤكده بالتكرار.

ومن روحانيات الركوع ما أشار إليه ابن القيم رحمه الله تعالى بقوله: "ثم شرع له رفع اليدين عند الركوع تعظيمًا لأمر الله، وزينةً للصلاة، وعبودية خاصةً لليدين كعبودية باقي الجوارح، واتِّباعًا لسنَّة رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو حليةُ الصلاة، وزينتها وتعظيمٌ لشعائرها.

ثم شرع له التكبير الذي هو في انتقالات الصلاة من رُكن إلى ركن، كالتلبية في انتقالات الحاجِّ، من مشعر إلى مشعر، فهو شعار الصلاة، كما أن التلبية شعار الحج، ومن ثم كان على المصلي أن يعلم أن سر الصلاة هو تعظيم الرب تعالى وتكبيره بعبادته وحده.

-67-

روحانيات الركوع وما يقال فيه من التسبيحات [٢/٦]

لا زال حديثنا متصلًا- بعون الله تعالى- حول الركوع وما فيه من روحانيات، (ونسأل الله أن يرزقنا وإياكم الخشوع له تعالى في صلواتنا كلها):

ومن روحانيات الركوع: ما أشار إليه ابن القيم أيضًا بقوله: "ثم شُرع له- الراكع - بأن يخضع للمعبود سبحانه بالركوع خضوعًا لعظمة ربه، واستكانة لهيبته وتذللًا لعزته.

فثناء العبد- الفعلي- على ربه في هذا الركن؛ هو أن يحني له صلبه، ويضع له قامته، ويُنكِّس له رأسه، ويحني له ظهره، ويكبره مُعظمًا له، ناطقًا بتسبيحه، المقترن بتعظيمه.

فاجتمع له خضوع القلب، وخضوع الجوارح، وخضوع القول على أتم الأحوال، ويجتمع له في هذا الركن من الخضوع والتواضع والتعظيم والذكر ما يفرق به بين الخضوع لربه، والخضوع للعبيد بعضهم لبعض، فإنَّ الخضوع وصف العبد، والعظمة وصف الرب.

وتمام عبودية الركوع أن يتصاغر الراكع، ويتضاءل لربه، بحيث يمحو تصاغره لربه من قلبه كلَّ تعظيم فيه لنفسه ولخلقه، ويثبت مكانه تعظيمه ربه وحده لا شريك له.

قال ابن القيم أيضًا رحمه الله تعالى: "إذا عَظَّم القلبُ الربَّ خرج تعظيم الخلق، وكلما استولى على قلبه تعظيم الربِّ وقوي، خرج منه تعظيم الخلق، وازداد تصاغره هو عند نفسه، فالركوع للقلب بالذات والقصد والجوارح بالتبع والتكملة.

روحانيات التسبيح في الركوع: كما عظَّمتَ الله تعالى- أيها المصلي- بفعلك؛ حيث أحنيت له ظهرك وأخضعت له بدنك، أمرك الحبيب صلى الله عليه وسلم أن تعظمه بلسانك وقلبك كما ورد ذلك في حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أنه قال: "كشف رسول الله صلى الله عليه وسلم الستر ورأسه

معصوب في مرضه الذي مات فيه فقال: ((اللهم قد بلَّغْتُ ثلاث مرات، اللهم قد بلغت اللهم قد بلغت، إنه لم يبق من مبشِّرات النبوة إلا الرؤيا الصالحة يراها العبد أو ترى له، ألا إني قد نهيت عن القراءة في الركوع والسجود فإذا ركعتم فعظموا ربكم، وإذا سجدتم فاجتهدوا في الدعاء، فإنه قمن- أي: حريٌّ أو أولى- أن يستجاب لكم))؛ رواه النسائي وصححه الألباني.

*** *** ***

-68-

روحانيات الركوع وما يقال فيه من التسبيحات [٣/٦]

في هذه الحلقة نواصل- بعون الله تعالى- حديثنا حول الركوع وروحانياته وما يقال فيه من التسبيحات (ونسأل الله أن يرزقنا وإياكم الخشوع له تعالى في صلواتنا كلها):

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: " نهى- أي: النبي صلى الله عليه وسلم- عن قراءة القرآن في الركوع والسجود؛ لأنهما حالتا ذُلٍّ وخضوع وتضامن وانخفاض؛ ولهذا شرع فيهما من الذكر ما يناسب هيئتهما، فشرع للراكع أن يذكر عظمة ربه في حال انخفاضه هو وتطامنه وخضوعه.

وأنه سبحانه يوصف بوصف عظمته عما يضادُّ كبرياءه وجلاله وعظمته، فأفضل ما يقول الراكع على الإطلاق: ((سبحان ربي العظيم))، فإن الله سبحانه أمر العباد بذلك وعيَّن المبلِّغ عنه السفير بينه وبين عباده صلى الله عليه وسلم هذا المحل لهذا الذكر لما نزلت: ﴿ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤]، قال: ((اجعلوها في ركوعكم)).

ومن الملاحظ أن أغلب المصلين يلتزمون صيغة واحدة لا يكاد الواحد منهم يتركها طيلة عمره، ولا يدري المسكين أن لكل ذكر أنواره وفوائده وفضائله وروحانياته، يختلف فيها عن الذكر الآخر، فيكون الملازم لذكر واحد حرم نفسه من خير كثير.

والآن إليك تلك الصيغ وما لها من معانٍ وما فيها من روحانيات مستعينًا بالله تعالى:

١- ((سبحان ربي العظيم))؛ رواه الترمذي، وأبو داود، والنسائي:

- معناه وروحانياته: معنى سبحان: في اللغة: مأخوذة من "السَّبْح": وهو البُعد، يقول العلامة ابن فارس: "العرب تقول: سبحان مِن كذا؛ أي: ما أبعدَه. قال الأعشى:

أقولُ لما جاءني فخرُهُ = سُبحانَ مِنْ علقمةَ الفاخِرِ

فتسبيح الله عز وجل إبعاد القلوب والأفكار عن أن تظن به نقصًا، أو تنسب إليه شرًّا، وتنزيهه عن كل عيب نسبه إليه المشركون والملحدون، وبهذا المعنى جاء السياق القرآني؛ قال تعالى: ﴿ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ

﴿وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [المؤمنون: ٩١] وغيرها كثير.

*** *** ***

-69-

روحانيات الركوع وما يقال فيه من التسبيحات [٦/٤]

نواصل- بعون الله تعالى- حديثنا حول الركوع وروحانياته وما يقال فيه من التسبيحات (ونسأل الله أن يرزقنا وإياكم الخشوع له تعالى في صلواتنا كلها):

ولا زلنا في شرح معنى ((سبحان ربي العظيم)) عن ابن عباس رضي الله عنهما: ((سبحان الله)): تنزيه الله عز وجل عن كل سوء.

وعن يزيد بن الأصم رحمه الله قال: "جاء رجل إلى ابن عباس رضي الله عنهما فقال: ((لا إله إلا الله)) نعرفها: لا إله غيره، و((الحمد لله)) نعرفها: أن النعم كلها منه، وهو المحمود عليها، و((الله أكبر)) نعرفها: لا شي أكبر منه، فما ((سبحان الله))؟ قال: كلمة رضيها الله عز وجل لنفسه، وأمر بها ملائكته، وفزع لها الأخيار من خلقه.

ومعنى ((ربي)) الرب: هو المتكفِّل بخلق الموجودات وإنشائها، القائم على هدايتها وإصلاحها الذي نظَّم معيشتها ودبَّر لها أمورها. وقد مضى الكلام عليه عند الكلام على روحانيات سورة الفاتحة.

إذن معنى ((سبحان ربي العظيم)): تقدَّس وتنزَّه ربي الذي خلقني ورباني، ((العظيم)): الذي هو أعظم من كل شيء قدرة وجلالًا وكبرياءً وتقدُّسًا.

فمن روحانيات معرفة ((سبحان ربي العظيم)) أن تستحضر أن من معاني العظيم: أنه هو الذي يعظمه خلقه ويهابونه ويتقونه، فله سبحانه وتعالى صفة العظمة في كل شيء، فهو عظيم في ذاته، عظيم في أفعاله، عظيم في صفاته وكل كائن دونه سبحانه وتعالى فصغير"، فلو ملأت قلبك بهذه المعاني فإنها تحفظك أن تخاف ما سواه سبحانه، ولِمَ تخاف وليس في الكون عظيم غيره؟! فلا يعظم أحد مثله فهو وحده ذو العظمة والجلال في ملكه وسلطانه.

ومن روحانيات معرفة ((العظيم)): أن تستحضر ما قاله الأصفهاني: "العظمة صفة من صفات الله لا يقوم لها خلق، والله تعالى خلق بين الخلق عظمة يعظِّم بها بعضهم بعضًا، فمن الناس مَن يعظَّم لماله، ومنهم من يُعظَّم لفضله وجميل صفاته، ومنهم مَن يُعظَّم لعلمه وذكائه، ومنهم مَن يُعظَّم لسلطانه، ومنهم من يُعظَّم لجاهه، وكل واحد من الخلق إنما يُعظَّم بمعنى دون معنى؛ أما الله عز وجل فيُعظَّم في الأحوال كلها.

روحانيات الركوع وما يقال فيه من التسبيحات [٥/٦]

نواصل- بعون الله تعالى- حديثنا حول الركوع وروحانياته وما يقال فيه من التسبيحات (ونسأل الله أن يرزقنا وإياكم الخشوع له تعالى في صلواتنا كلها):

ومن صيغ التسبيحات في الركوع ((سبُّوحٌ قدُّوس ربّ الملائكةِ والروحِ))؛ رواه مسلم:

- معناه وروحانياته:

معنى ((سبُّوح)): أسبّح الله المسبَّح بكل شيء، والمنزَّه على كل لسان كما قال تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَاوَاتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤].

((قدُّوس)): اسم لله تعالى، ومن معانيه: المنزه عن الكمالات التي ينسبها إليه البشر بعقولهم وأفكارهم وخواطرهم؛ لأنه لا يعرف الله إلا الله؛ ولهذا كان سبحانه منزهًا عما يعتقده البشر أنه كمال في حقه؛ ولذا لا يُوصَف الله تعالى إلا بما ورد في القرآن الكريم أو على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم.

((رب الملائكة)): أي خالقهم ومدبِّرهم سبحانه. ولك أن تتخيل كم أعداد الملائكة! إنهم لا يحصيهم إلا خالقهم جل وعلا، ولعل الحكمة من ذكرهم في هذا المقام هو أن يتشبه المؤمنون بهم في تسبيح الله تعالى وتقديسه، أليسوا قد قالوا قديمًا: ﴿ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ﴾ [البقرة: ٣٠].

فكما قالوها إجلالًا لله تعالى وخضوعًا لعظمته، فكذلك يقوم بها المؤمن قولًا وعملًا؛ أي: خاضعًا لله تعالى بالركوع وقائلًا بلسانه: ((سبحان ربي العظيم)). ألا يستدعي ذلك أن يخشع قلبك وأن تدمع عينك؟!

والروح: هو جبريل عليه السلام- مِن باب ذكْر الخاصِّ بعد العامِّ - تكريمًا لجبريل ورفعًا لدرجته، فهو أفضل الملائكة، وهوالذي نزل بالقرآن الذي وصفه الله بأنه روح ﴿ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢].

-71-

روحانيات الركوع وما يقال فيه من التسبيحات [٦/٦]

نواصل- بعون الله تعالى- حديثنا حول الركوع وروحانياته وما يقال فيه من التسبيحات (ونسأل الله أن يرزقنا وإياكم الخشوع له تعالى في صلواتنا كلها):

ومن صيغ التسبيحات في الركوع ((اللهم لك ركعت، ولك أسلمت، وبك آمنت، خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي، وعصبي))؛ رواه مسلم.

معناه وروحانياته:

((اللهم لك ركعت)): إعلان للتوحيد مع التصديق الجازم بأن الركوع لله وحده، وأني يا الله أسلمت نفسي وأركاني لك.

((ولك أسلمت)): لما كان الركوع دليلًا على استسلام الظاهر لزم منه استسلام الباطن، فوجب أن يعبِّر الراكع عن ذلك بلسانه فيقول: ((ولك أسلمت)) فهل يليق به أن يستسلم لله في الصلاة، فإذا كان خارجها فعل ما يخالف هذا الاستسلام.

قال أحدهم: من العجيب حقًّا أن كثيرًا من الناس إذا منَعهم الطبيب مما يشتهون ويحبون بسبب مرض أصابَهم، تراهم يستجيبون ويُذعنون لتعليمات الطبيب، دون مراجعة أو اعتراضٍ، رغم شدة تعلُّقهم بما منعهم الطبيب منه، وفي المقابل إذا دعاهم الخالق إلى ما فيه صلاحُهم واستقامتهم، تراهم يحاولون التفلُّت من التكاليف وعدم الانقياد والتسليم لأحكام الله؛ سواء التشريعية، أو القدرية.

((خشع لك سمعي وبصري ومخي وعظمي، وعصبي)): الخشوع هنا هو السكون المقرون بالذل والخضوع والعبودية لله. والمراد بالخشوع من هذه الأشياء: هو الانقياد والطاعة، فيكون هذا من قبيل ذكر اللازم وإرادة الملزوم.

أما تخصيص السمع والبصر من بين الحواس؛ فلأنهما أعظم الحواس، وأكثرها فعلًا، وأقواها عملًا، وأمسها حاجة؛ ولأن أكثر الآفات بهما، فإذا خشعتا قَلَّت الوساوس.

ومعنى انقياد السمع: قبول سماع الحق، والإعراض عن سماع الباطل.

وأما انقياد البصر: النظر إلى كل ما ليس فيه حرمة.

وأما انقياد المخ والعظم والعصب: انقياد باطنه كانقياد ظاهره؛ لأن الباطن إذا لم يوافق الظاهر لا يكون انقياد الظاهر مفيدًا معتبرًا، وانقياد الباطن عبارة عن تصفيته عن دنس الشرك والنفاق، وتزيينه بالإخلاص والعلم والحكمة.

وأما تخصيص المخ والعظم والعصب من بين سائر أجزاء البدن: فلأن ما في أقصى قعر البدن المخ، ثم العظم، ثم العصب؛ لأن المخ يمسكه العظم، والعظم يمسكه العصب، وسائر أجزاء البدن مركبة عليها، فإذا حصل الانقياد والطاعة، فهذه عمدة بنية الحيوان، وأيضًا العصب خزانة الأرواح النفسانية، واللحم والشحم غادٍ ورائح، فإذا حصل الانقياد والطاعة من هذه فمن الذي يتركب عليهما بطريق الأولى.

*** *** ***

روحانيات الرفع من الركوع وما يقال فيه من الذكر [١/٣]

سنبدأ في هذا المقال- بعون الله تعالى- مجموعة من المقالات للكلام حول روحانيات الرفع من الركوع وما يقال فيه من الذكر (ونسأل الله أن يرزقنا وإياكم الخشوع له تعالى في صلواتنا كلها):

* الرفع من الركوع هو الركن الثالث من أركان الصلاة: ومن الملاحظ أن كثيرًا من المصلين يخفِّفه جدًّا إلى درجة الإخلال بالقدر الواجب فيه، فلا يكاد يطمئن حتى يخر ساجدًا، وأقول: لو كان هذا الرفع مندوبًا لما جاز لأحد أن يخففه إلى هذه الدرجة المعيبة والتي قد تؤدي إلى بطلان صلاته؛ لفقد ركن الاطمئنان، حتى إنني أحيانًا أحتار فيما يفعله هذا المصلي، لم كل هذه العجلة يا أخي.

واعلم أخي المصلي أنه من الواجب عليك أن يقع في قلبك لله - في هذا الركن - من الإجلال والتعظيم لله ما هو قريب مما وقع في قلبك في الركوع، فعن حذيفةَ رضي الله عنه قال: "صلَّيتُ مع النبيِّ صلى الله عليه وسلم ذاتَ ليلةٍ. فافتتح البقرةَ. فقلتُ: يركع عند المائةِ. ثم مضى. فقلتُ: يصلي بها في ركعةٍ. فمضى. فقلتُ: يركع بها. ثم افتتح النساءَ فقرأها. ثم افتتح آلَ عمرانَ فقرأها. يقرأ مُترسِّلًا. إذا مرَّ بآيةٍ فيها تسبيحٌ سبَّحَ. وإذا مرَّ بسؤالٍ سأل. وإذا مرَّ بتعوُّذٍ تعوَّذَ. ثم ركع فجعل يقول: ((سبحانَ ربيَ العظيمِ)) فكان ركوعُه نحوًا من قيامِه. ثم قال: ((سمع اللهُ لمن حمدَه))، ثم قام طويلًا. قريبًا مما ركع. ثم سجد فقال: ((سبحان ربيَ الأعلى)) فكان سجودُه قريبًا من قيامِه"؛ رواه مسلم.

فمن روحانيات الرفع من الركوع: ما أشار إليه ابن القيم بقوله: "ثم نقله منه- أي من الركوع- إلى مقام الاعتدال والاستواء، واقفًا في خدمته، بين يديه كما كان في حالة القراءة في ذلك؛ ولهذا شرع له من الحمد والمجد نظير ما شرع له من حال القراءة في ذلك؛ ولهذا الاعتدال ذوقٌ خاص وحال يحصل للقلب، ويخصه سوى ذوق الركوع وحاله، وهو ركنٌ مقصود لذاته كركن الركوع والسجود سواء".

روحانيات الرفع من الركوع وما يقال فيه من الذكر [٢/٣]

نواصل- بعون الله تعالى- الكلام على روحانيات الرفع من الركوع وما يقال فيه من الذكر (ونسأل الله أن يرزقنا وإياكم الخشوع له تعالى في صلواتنا كلها):

* الذكر الذي يقال في الرفع نوعان:

الأول: ذكر يقال أثناء الرفع وقبل الاعتدال: وهو صيغة واحدة: ((سمع الله لمن حمده))؛ رواه البخاري ومسلم.

ومعناه: اللهم اسمع مني حمدي لك سماع قبول وإجابة، قال الغزالي رحمه الله: "ثم ترتفع من ركوعك راجيًا أنه راحم لك ومؤكد للرجاء في نفسك بقولك: ((سمع الله لمن حمده))؛ أي: أجاب لمن شكره. ثم تردف ذلك الشكر المتقاضي للمزيد فتقول: ((ربنا لك الحمد)) وتكثر الحمد بقولك: ((ملء السموات وملء الأرض))...إلخ.

الثاني: ذكر يقال بعد الاعتدال: ووردت فيه صيغ متعددة:

١- ((ربنا لك الحمد)) أو ((ربنا ولك الحمد)) أو ((اللهم ربنا لك الحمد))؛ رواه البخاري، ومسلم،

ومعناه: يا ربنا حمدناك فتقبل منا.

٢- ((ربنا ولك الحمد حمدًا كثيرًا طيِّبًا مباركًا فيه))؛ رواه البخاري، وغيره.

ورد في فضله: عن رفاعة بن رافع الزرقي قال: كنا نصلي يومًا وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم، فلما رفع رسول الله صلى الله عليه وسلم رأسه من الركعة وقال: ((سمع الله لمن حمده)) قال رجل وراءه: ((ربنا لك الحمد، حمدًا كثيرًا طيبًا مباركًا فيه))، فلما انصرف رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ((من المتكلم آنفًا؟)) قال الرجل: أنا يا رسول الله، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكًا يبتدرونها أيهم يكتبها أول))؛ رواه البخاري.

ومعنى ((حمدًا كثيرًا)): ((ربَّنا ولَكَ الحَمْدُ حَمْدًا كَثيرًا طَيِّبًا مُباركًا فيهِ))، ومعناه: حَمْدًا خالِصًا عَنِ الرِّياءِ والسُّمعةِ، كثيرَ الخَيرِ، ومنزهًا عما ينقص كمال الحمد.

((مباركًا فيه))؛ أي: أن تجعل يا الله في هذا الحمد البركة بقبوله ورضاك به، وأن تجعل له أثرًا طيبًا على نفسي وأهلي ومالي.

ومن فوائد الحَديثِ: بَيانُ فضْلِ التَّحميدِ والذِّكرِ له سُبحانَه. وفيه: مَشروعيَّةُ جَهرِ المأمومِ وَراءَ الإمامِ بشَيءٍ مِن الذِّكرِ مَا لم يُشوِّشْ على مَن مَعَه.

روحانيات الرفع من الركوع وما يقال فيه من الذكر [٣/٣]

نواصل- بعون الله تعالى- الكلام على روحانيات الرفع من الركوع وما يقال فيه من الذكر (ونسأل الله أن يرزقنا وإياكم الخشوع له تعالى في صلواتنا كلها):

ومن صيغ الرفع من الركوع: ((اللهم ربَّنا لكَ الحمدُ مِلْءَ السَّمَوَات ومِلءَ الأرضِ ومَا بَيْنَهُما، ومِلْءِ ما شِئْتَ مِنْ شَيءٍ بَعْدُ، أَهْلَ الثَّناءِ والمَجْدِ، لا مَانِعَ لِمَا أعْطَيت، ولا مُعْطِي لِمَا مَنَعْتَ، ولا يَنْفَعُ ذَا الجَدِّ مِنْكَ الجَدّ))؛ رواه مسلم، وغيره.

- ((ملء السموات وملء الأرض وملء..)) إلخ: هذه إشارة إلى أن حمد الله أعز من أن يدخل فيه الحسبان، أو يكتنفه الزمان والمكان؛ فأحال الأمر فيه على المشيئة، وليس وراء ذلك للحمد منتهى، ولم ينته أحد من خلق الله في الحمد مبلغه ومنتهاه.

ومن معانيه أن تجعل هذا الحمد متقبَّلًا مضاعفًا تمتلئ به مخلوقاتك التي نعرفها والتي لا نعرفها في السماوات والأرض وما سواهما.

((أهل الثناء والمجد)): أي: يا أهل الثناء المستحق له وللحمد وأهل المجد، وهو كمال السؤدد والعز والشرف لله سبحانه.

((أحق ما قال العبد))؛ أي: أُثني عليك يا الله بأعلى مقامات الثناء التي يثني بها عليك عبيدك- وكلنا لك عبد- اعترافًا مِن الداعي بالعبودية لله تعالى.

((لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت))؛ أي: لا أحد يستطيع رد فضلك وعطائك، وما يعطيه العبد لغيره، فالله هو المعطي؛ لأنه هدى المعطي للعطاء، ولا أحد يعطي مَن منعه الله مهما أحب أن يعطيه إلا أن يأذن الله بذلك العطاء.

((ولا ينفع ذا الجد منك الجد))؛ أي: لا ينفع صاحب الحظ حظه في جلب المنفعة ودفع الضر له ولغيره إلا أن يأذن الله سبحانه.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "ثم شرع له أن يحمد ربه، ويثني عليه بآلائه عند اعتداله وانتصابه ورجوعه إلى أحسن هيئاته، منتصب القامة معتدلها، فيحمد ربه ويثني عليه بآلائه عند اعتداله وانتصابه ورجوعه إلى أحسن تقويم، بأن وفقه وهداه لهذا الخضوع الذي قد حرمه غيره".

*** *** ***

روحانيات السجود ودلالته على الخضوع لله تعالى [١/ ٤]

سنبدأ في هذا المقال- بعون الله تعالى- مجموعة من المقالات للكلام على روحانيات السجود باعتباره عملًا يدل على الخضوع لله تعالى (ونسأل الله أن يرزقنا وإياكم الخشوع له تعالى في صلواتنا كلها):

السجود هو الركن الرابع من الأركان الفعلية في الصلاة، وكونه عبادة ليس خاصًّا بالصلاة بل هناك سجود خارج الصلاة كسجود التلاوة وسجدة الشكر، وهو سرُّ الصلاة ولبُّها، وأفضل أحوالها، وأعظم أركانها، في السجود تتجلى العبودية في أكمل صورها، وأعظم معانيها، فيه غاية الذل والانكسار، ونهاية المسكنة والافتقار.

من فوائد السجود:

١/ كثرة السجود ترفع الدرجات وتقربك من مرافقة خير البريَّات عليه أفضل الصلوات:

عن رَبِيعَة بْن كَعْبٍ الْأَسْلَمِيّ رضي الله عنه قَالَ: "كُنْتُ أَبِيتُ مَعَ رَسُولِ اللهِ صلى الله عليه وسلم، فَأَتَيْتُهُ بِوَضُوئِهِ وَحَاجَتِهِ، فَقَالَ لِي: ((سَلْ))، فَقُلْتُ: أَسْأَلُكَ مُرَافَقَتَكَ فِي الْجَنَّةِ، قَالَ: ((أَوْ غَيْرَ ذَلِكَ؟))، قُلْتُ: هُوَ ذَاكَ، قَالَ: ((فَأَعِنِّي عَلَى نَفْسِكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ))؛ رواه مسلم.

يقول الإمام النووي رحمه الله: "فيه الحث على كثرة السجود والترغيب به، والمراد به السجود في الصلاة "؛ انتهى (من شرح صحيح مسلم).

وعن معدان بن أبي طلحة رحمه الله تعالى قال: لَقِيتُ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: أَخْبِرْنِي بِعَمَلٍ أَعْمَلُهُ يُدْخِلُنِي اللَّهُ بِهِ الْجَنَّةَ- أَوْ قَالَ قُلْتُ: بِأَحَبِّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ- فَسَكَتَ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ، فَسَكَتَ، ثُمَّ سَأَلْتُهُ الثَّالِثَةَ، فَقَالَ: سَأَلْتُ عَنْ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: ((عَلَيْكَ بِكَثْرَةِ السُّجُودِ لِلَّهِ، فَإِنَّكَ لَا تَسْجُدُ لِلَّهِ سَجْدَةً إِلَّا رَفَعَكَ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، وَحَطَّ عَنْكَ بِهَا خَطِيئَةً))؛ رواه مسلم (٤٨٨).

فانظر كيف كانت رفعة الدرجات مطردة بحسب الاستكثار من الصلوات بين يدي الله سبحانه وتعالى، تمامًا كما يفيده قول الله عز وجل: ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء: ٦٩].

*** *** ***

روحانيات السجود ودلالته على الخضوع لله تعالى [٢/٤]

نواصل- بعون الله تعالى- الكلام على روحانيات السجود باعتباره عملًا يدل على الخضوع لله تعالى (ونسأل الله أن يرزقنا وإياكم الخشوع له تعالى في صلواتنا كلها):

ومن فوائد السجود:

٢/ بالسجود يُخرِج الله أقوامًا من العصاة من النار ويُدخِلهم الجنة: حينما يفصل الخالق جل وعلا بين عباده في الآخرة، فيُدخِل أهل الجنةِ الجنةَ وأهل النارِ النارَ، يُخرِج الله عز وجل من النار بعد ذلك أصحابَ السجود في الدنيا.

روى البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة الطويل وفيه: ((حتى إذا أراد الله رحمةَ مَنْ أراد من أهل النار أمرَ الملائكة أن يُخرِجوا مَن كان يعبد الله فيخرجونهم ويعرفونهم بآثار السجود، وحرم الله على النار أن تأكل أثر السجود)).

٣/ بالسجود يعرف النبي صلى الله عليه وسلم أفراد أمته يوم القيامة: ومن فضل السجود وبركته أن النبي صلى الله عليه وسلم يعرف أفراد أمته في عرصات القيامة بأثر السجود في الوجه كما ثبت في الحديث الصحيح الذي خرجه الإمام أحمد وغيره.

٤/ السجود يذهب الهموم الدنيوية: عند توارد الهموم وتزاحم الغموم يحتاج العبد إلى أن ينفِّس عن مشاعره ويخفِّف من همومه الجاثمة على صدره، ولن يجد العبد ملاذًا غير باب ربه تبارك وتعالى فينطرح بين يديه، ويشكو حاله إليه، ويرفع حاجاته لديه، فيحصل له بذلك طمأنينة القلب وسكينة النفس؛ ولذا أرشد الله عز وجل نبيَّه حينما كذَّبه قومه واتهموه في عقله، فضاق بذلك صدره وتحسَّرت نفسه، أرشده أن يلجأ إلى ربه بالتسبيح والسجود ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ [الحجر: ٩٧، ٩٨].

٥/ شرف السجود وعظمته تتجلى في قرب العبد من ربه تعالى؛ ولذا ربط سبحانه بين السجود والقرب منه في قوله تعالى: ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ﴾ [العلق: ١٩].

وفي حديث: ((أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فأكثروا الدعاء))؛ رواه مسلم.

*** *** ***

-77-

روحانيات السجود ودلالته على الخضوع لله تعالى [٣/٤]

نواصل- بعون الله تعالى- الكلام على روحانيات السجود باعتباره عملًا يدل على الخضوع لله تعالى (ونسأل الله أن يرزقنا وإياكم الخشوع له تعالى في صلواتنا كلها):

ومن فوائد السجود:

٦/ السجود موطن من مواطن إجابة الدعاء: يقول النبي صلى الله عليه وسلم: ((ألا وإني نهيت أن أقرأ القرآن راكعًا أو ساجدًا، فأما الركوع فعظِّموا فيه الرب، وأما السجود فاجتهدوا في الدعاء فقمِنٌ أن يُستجاب لكم))؛ رواه مسلم.

٧/ عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: ((مَن سجد لله سجدةً، كتب الله له بها حسنةً، وحطَّ بها عنه خطيئةً، ورفَع له بها درجةً))؛ صحيح الترغيب والترهيب.

لعلك أخي المصلي بعد معرفتك لهذه الفضائل التي حاز عليها السجود ترتفع همتك لأن تقوم بالسجود في صلاتك على الوجه اللائق به- من الخشوع وحضور القلب- باعتباره عبادة لها هذه المزايا على غيرها من العبادات، فتطيل سجودك بين يدي الله تعالى طامعًا في رحمته ورضاه، متطلعًا إلى جزيل عطاياه.

ومما يعينك على ذلك أن تتعرف على روحانياته:

- فمن روحانيات السجود: ما قاله ابن القيم رحمه الله تعالى: ثم شرع له أن يكبر ويدنو ويخِرَّ ساجدًا، ويُعطي في سجوده كل عضو من أعضائه حظَّه من العبودية، فيضع ناصيته بالأرض بين يدي ربه، مسندة راغمًا له أنفه، خاضعًا له قلبه، ويضع أشرف ما فيه وهو وجهه بالأرض ولا سيما وجه قلبه مع وجهه الظاهر ساجدًا على الأرض معفِّرًا له وجهه وأشرف ما فيه بين يدي سيِّده، راغمًا أنفه، خاضعًا له قلبه وجوارحه، متذلِّلًا لعظمة ربه، خاضعًا لعزَّته، منيبًا إليه، مستكينًا ذلًّا وخضوعًا وانكسارًا، قد صارت أعاليه ملويةً لأسافله، وقد طابق قلبُه في ذلك حالَ جسده، فسجد القلبُ للرب كما سجد الجسد بين يدي الله، وقد سجد معه أنفه ووجهه، ويداه وركبتاه، ورجلاه، فهذا العبد هو القريب المقرَّب، فهو أقرب ما يكون من ربه.

- ومن روحانيات السجود: ما قاله ابن القيم أيضًا: لما كان سجود القلب خضوعه التام لربّه، أمكنه استدامة هذا السجود إلى يوم القيامة، كما قيل لبعض السلف: هل يسجد القلب؟ قال: "إي والله سجدةً لا يرفع رأسه منها حتى يلقى الله عزَّ وجل" إشارة إلى إخبات القلب، وذلّه، وخضوعه، وتواضعه، وإنابته وحضوره مع الله أينما كان، ومراقبته له في الخلاء والملأ.

روحانيات السجود ودلالته على الخضوع لله تعالى [٤/٤]

نواصل- بعون الله تعالى- الكلام على روحانيات السجود باعتباره عملًا يدل على الخضوع لله تعالى (ونسأل الله أن يرزقنا وإياكم الخشوع له تعالى في صلواتنا كلها):

ومن أعظم روحانيات السجود: ما قاله بعضهم:

- أن تستحضر أيها الساجد: أن السجود لله سبحانه وتعالى أن يَطرح العبد أشرف ما يظهر منه على الأرض راغبًا محبًّا، معظمًا متقرّبًا لربه وخالقه، مسلِّمًا أمره، معترفًا بذنبه، منكسًا رأسه. فالسجود روضة خاصة، إذا دخلها القلب لا يخرج منها أبدًا، ففيها من اللذة والانشراح ما لا يُوصَف، ولا يحيط به قلم.

- أن تستحضر أيها الساجد: أن السجود لله سبحانه وتعالى روضة أقرب ما يكون العبد من ربه وهو فيها يتنعَّم، تُسكَب فيها العبرات، وتُزاح الآهات، تطرح الحاجات، تُجاب الدعوات، ترفرف الأفئدة نشوة وفرحًا بما تنعم به في مِثل هذه اللحظات.

- أن تستحضر أيها الساجد: أن السجود لله عبارة عن روضة فيها لقاء من نوع خاص لا يَحضُره أحد ولا يُمنع منه أحد، ولا يدري به أحد، فهو بين العبد والرب، لقاء شفاف بعيد عن الدنيا ومَن فيها وما فيها، تختلط فيه الدموع بالدعوات، والتملق بالثناء، والخوف بالرجاء، وإذا حصل وتذوَّق الساجد طعم ما في هذه الروضة، انقلب ودخلها دخول صدق ففيها وبها يرتفع قدره ويسمو مقامه، وبكل سجدة درجة.

- أن تستحضر أيها الساجد: أن السجود ذلٌّ لله العزيز القهار، وخضوع واعتراف ونزول واستسلام وطاعة وامتثال، وهو أيضًا رِفْعة وقوة وانشراح واطمئنان ومظنَّة إجابة الدعاء وكشْف الكربات.

- أن تستحضر أيها الساجد: أنه من المفترض أن يكون في السجود دمعة صادقة لا يراها إلا مَن سُكبت له ومِن أجْلِه، وفيه اعتراف جريء لا يسمعه إلا من وسع سمعه كل شيء، وهنا في السجود طلب ما لا يدري به أحد، وروضة للقلب قبل البدن والروح.

- أن تستحضر أيها الساجد: أن السجود عنوان عبودية، ورمز خضوع، وموقف عزٍّ، ومدرسة اعتراف، فسبعة أعضاء تسجد لله وتحمل البدن، كلها مُنطرِحة غير متأفِّفة ولا مستكبِرة، بل راغبة مُحبَّة طالبة للعز والرفعة. في روضة السجود جلاء الكبر، ومحو الذنب، وتطهير النفس، وصقْل القلب، فاسجد ففي كلِّ سجدة تسجدها مطمئنًّا مؤمنًا ترتفع درجة، وأقرب ما يكون القلب من الرب إذا سجد، فلا تبخل على نفسك، ولا تعجل في سجودك، فأطِل؛ فاللذة تأتي كلما طال بقاؤك ساجدًا حتى إنك تودُّ ألا ترفع.

أيها الساجد لله: اسجد باكيًا ويا لذة البكاء في السجود! واسجد سائلًا، وداعيًا، ومسبِّحًا، ومهللًا، متضرِّعًا خاضعًا، فأنت في جنَّة من جنان الدنيا! اسجد واحمد الله تبارك وتعالى أنْ وفَّقك للسجود، فكم من محروم لا يدري ما السجود! وإن طرَح جبهتَه على الأرض، نقرها نقرًا لا يدري ما قال ولا يعرف ما ذاق. واعرف السجود لتكثر، فاسجد للشكر، واسجد للتوبة، واسجد للتلاوة، واسجد للسهو في صلاة، ولتكن حياتك سجودًا، فالقلب يسجد لله سجدة لا يقوم منها عبوديَّة وطاعة وامتثالًا ورغبة ورهبة.

*** *** ***

-79-

روحانيات التسبيح والدعاء في السجود [٣/١]

سنبدأ في هذا المقال- بعون الله تعالى- مجموعة من المقالات للكلام على روحانيات التسبيح والدعاء في السجود (ونسأل الله أن يرزقنا وإياكم الخشوع له تعالى في صلواتنا كلها):

لقد وردت صيغ كثيرة في السنة النبوية في التسبيح الذي يقال في السجود كما وردت أيضًا بعض الأدعية، وما ذلك إلا لأن الإنسان من طبعه الملل، فلو لم تكن إلا صيغة واحدة لملَّها مع كثرة ترديده لها، ومن هنا كان من الضروري لكل مُصَلٍّ أن يحفظ أكثر من ذكر ودعاء؛ ليغاير بينها بين الحين والآخر. واخترت هنا بعضها لبيان معانيها وما فيها من الروحانيات:

* فمن تسبيحات السجود ((سبحان ربي الأعلى))، يقال ثلاث مرات أو أكثر؛ رواه الترمذي، والنسائي، وابن ماجه.

- معناه وروحانياته: والأعلى في حق الله سبحانه: هو الذي له العلو المطلق من كل وجه: علو الذات، وعلو الصفات، وعلو القهر والغلبة.

وعلو الذات: أي إنه سبحانه عالٍ بذاته على كل الخلق، مستوٍ على عرشه، فوق جميع مخلوقاته. وعلو الصفات: أنه موصوف بكل كمال، ومنزه عن كل نقص.

وعلو القهر والغلبة: أنه قد قهر كل شيء وغلبه، وخضع له كل شيء.

قال ابن القيم رحمه الله: "أَجْمَعَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ الْعَلِيُّ الْأَعْلَى، وَنَطَقَ بِذَلِكَ الْقُرْآنُ، فَلِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ الْعُلُوُّ مِنْ سَائِرِ وُجُوهِ الْعُلُوِّ ; لِأَنَّ الْعُلُوَّ صِفَةُ مَدْحٍ، فَثَبَتَ أَنَّ لِلَّهِ تَعَالَى عُلُوَّ الذَّاتِ وَعُلُوَّ الصِّفَاتِ وَعُلُوَّ الْقَهْرِ وَالْغَلَبَةِ"؛ [اجتماع الجيوش الإسلامية لابن القيم: (٢/ ١٨٢)].

ولذا: كلُّ مَنْ علا مهما كان، فالله أعلى منه، والله أعظم منه، والله أجل منه، مهما كان له العلو في الأرض، ومهما كان متصفًا بالمنزلة والمكانة. فالله سبحانه وتعالى ذو العُلوّ وذو العُلا وذو العلاء والمعالي.

روحانيات التسبيح والدعاء في السجود [٣/٢]

نواصل الحديث- بعون الله تعالى- عن روحانيات التسبيح والدعاء في السجود (ونسأل الله أن يرزقنا وإياكم الخشوع له تعالى في صلواتنا كلها):

- من روحانيات هذا التسبيح: ((سبحان ربي الأعلى)) أن فيه إعلان الخضوع لله بكل معانيه؛ بوضع الجبهة والوجه (أشرف ما لدى الإنسان) على الأرض، وكذلك استحضار تنزيه الله عز وجل عن السفول، وأنه سبحانه عليٌّ فوق مخلوقاته، ومنزه عن الوساوس التي يوحيها الشيطان بأن الله حلَّ في الأشياء سبحانه وتعالى عن ذلك علوًّا كبيرًا، مع اعتقاد أنه أقرب للعبد من كل شيء، فهو سبحانه عليٌّ في دنوِّه، قريب في علوِّه؛ ولهذا شرع التسبيح في كل منخفض، كما شرع التكبير على كل مرتفع.

*ومن روحانياته: ما قاله ابن رجب رحمه الله تعالى: "إذا ذل العبد لربه بالركوع والسجود، وصف ربه بصفات العز والكبرياء والعظمة والعلو، فكأنه يقول: الذل والتواضع وصفي، والعلو والعظمة والكبرياء وصفك؛ فلهذا شُرع للعبد في ركوعه أن يقول: ((سبحان ربي العظيم)) وفي سجوده: ((سبحان ربي الأعلى))، وكان صلى الله عليه وسلم أحيانًا يقول في ركوعه وسجوده: ((سبحان ذي الجبروت والملكوت والكبرياء والعظمة))"؛ انتهى.

*ومن تسبيحات السجود ((سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَى وَبِحَمْدِهِ)) (ثَلَاثًا)؛ صحيح سنن أبي داود للألباني.

لقد سبق بيان فائدة الجمع بين الحمد والتسبيح- في أذكار الركوع- لكن باختصار: الحمد يعني وصف الله تعالى بالكمال المطلق بعد تنزيهه تعالى عن كل ما لا يليق به بالتسبيح.

*ومن أدعية السجود ((اللهم لك سجدت، وبك آمنت، ولك أسلمت، سجد وجهي للذي خلقه وصوره، وشق سمعه وبصره، تبارك الله أحسن الخالقين))؛ رواه مسلم.

* معناه وروحانياته: اعتراف بنعمة الله على العبد في حُسْن خُلْقه له، وإعانته على السجود، وشق سمعه وبصره؛ أي: هيَّأ مكانًا مشقوقًا في الرأس مناسبًا للسمع والبصر، أحسَن الخالقين: فله سبحانه الكمال المطلق في الخلق والتكوين، بخلاف المخلوق الذي يعطيه الله بعض القدرة فيصنع ويصور أشياء جزئيه نسبيَّة لا تصل لكمال صنع الله سبحانه.

*** *** ***

روحانيات التسبيح والدعاء في السجود [٣/٣]

نواصل الحديث- بعون الله تعالى- عن روحانيات التسبيح والدعاء في السجود (ونسأل الله أن يرزقنا وإياكم الخشوع له تعالى في صلواتنا كلها):

من أدعية السجود: ما ورد في قوله صلى الله عليه وسلم: ((اللهم اغفر لي ذنبي كله، دِقَّهُ وجِلَّهُ، وأوله وآخره، وعلانيته وسره))؛ رواه مسلم.

- معناه وروحانياته: لنعترف قبل أن نلهج بهذا الدعاء أن كُلَّ إنسان يَحيَا على هذه الأرض وفي هذا الكون العظِيم يُخطِئ، وكل واحد مِنّا يُدرِك أنّه قد أخطأ، وقليل جدًّا مَنْ لا يُدرِك هذا، وجميعنا دون استِثناء نرتكِب الذنوب والمعاصِي، فنُخطِئ في حقِّ أنفسنا قبل أنْ نُخطِئ في حقِّ الآخرين، فنحن لسْنَا بِرُسُل، فقد جَبَلَنَا الله على هذه الفِطرة، الجميع يُذنِب ويتوب ويعود إلى الله، فخيرِ الخَطَّائين هم التَّوَّابون.

ولما كانت الذنوب التي نقع فيها كثيرة ومتنوعة جاء التعليم النبوي لنا بمقدار هذا التنوع وهذه الكثرة، والآن تأمل في كلمات هذا الدعاء.

((اللهم اغفر لي ذنبي كله))؛ أي: جميعه، لما كان قوله: ((ذنبي)) مفرد يراد به العموم صح أن يؤكده بقوله: ((كله)) وهذا يشمل الصغائر والكبائر والسر والعلانية، ومع هذا فصَّل بعد الإجمال.

((دقه)): الذنوب الصغيرة؛ أي: الذنب الذي دقَّ، وهذا أعظم بالاعتراف والإقرار بما اقْتُرِفَ.

((وجِلَّه))؛ أَيْ: اغفر لي ذنبي جَلِيله وَكَبِيره، قِيلَ: إِنَّمَا قَدَّمَ الدِّقّ عَلَى الْجِلّ؛ لِأَنَّ السَّائِل يَتَصَاعَد فِي مَسْأَلَته- أَيْ يَتَرَقَّى- وَلِأَنَّ الْكَبَائِر تَنْشَأ غَالِبًا مِن الإِصْرَار عَلَى الصَّغَائِر وَعَدَم الْمُبَالَاة بِهَا، فَكَأَنَّهَا وَسَائِل إِلَى الْكَبَائِر.

((وأوله وآخره))؛ أي: اغفر لي ذنبي الماضي والمستقبل من الذنوب. وقيل: الْمَقْصُود الْإِحَاطَة، بجميع الذنوب.

وعلى القول الأول يأتي سؤال ألا وهو: إن المغفرة تستدعي سبق شيء يغفر، والمتأخر من الذنوب لم يأت، فكيف يغفر؟

والجواب ما قاله الحافظ ابن حجر: "أنه كناية عن حفظهم من الكبائر، فلا تقع منهم كبيرة بعد ذلك، وقيل: إن معناه أن ذنوبهم تقع مغفورة".

والمقصود بقوله: "تقع مغفورة"؛ أي: إنهم يوفَّقون للتوبة منها دون تسويف أو تأخير، بخلاف غيرهم فلا يوفقون لذلك، والله أعلم.

((عَلَانِيَته وَسِرّه))؛ أَيْ: عِنْد غَيْره تَعَالَى، وَإِلَّا فَهُمَا سَوَاء عِنْده تَعَالَى يَعْلَم السِّرّ وَأَخْفَى.

*** *** ***

روحانيات تكبيرات الانتقال

مما هو معلوم أن من سنن الصلاة تكبيرات الانتقال، وهي من القيام للركوع، ومن الرفع من الركوع إلى السجود، وللجلوس بين السجدتين، وللجلوس للتشهُّد، وربما تكون الحكمة من سُنيَّتها هو ملء هذه الحركات التي ينتقل فيها المصلي من ركن إلى آخر؛ أي: حتى لا يبقى صامتًا في أثناء انتقاله، فيكون ذلك سببًا في غفلته.

الله أكبر: كلمةٌ عظيمةٌ، خفيفةٌ على اللسان، ثقيلةٌ في الميزان، يقولُها المسلم في اليوم والليلة أكثر من سبعين مرة، ويسمعها من الإمام والمؤذِّن أكثر من مائة مرَّة، وتتردَّدُ في الأذكار عشرات المرات.

التكبيرُ هو شِعارُ الصلاة، وعند جماهير أهل العلم أن الصلاةَ لا تنعقِدُ إلا بلفظ التكبير، والمصلُّون في صلاة الجماعة يُكبِّرون بعد تكبير الإمام، وفي الحديث: ((فإذا كبَّر فكبِّروا))؛ رواه مسلم. في مُتابعةٍ دقيقة، وانتِظامٍ عجيب، يقودُه التكبيرُ ويُنظِّمُه.

((الله أكبر)): جُملةٌ عظيمةٌ حافِظةٌ، إذا سمِعها الشيطان تصاغَرَ وتحاقَرَ وخنَسَ، فكبرياءُ الجبَّار تقمَعُ انتِفاشَ الشيطان، وإذا تغوَّلت الغيلان فبادِروا بالتكبير.

قال ابن القيم رحمه الله في كتابه بدائع الفوائد: "وأما السؤال الثامن والعشرون: لما كان المصلي قد تخلى عن الشواغل، وقطع جميل العلائق وتطهر، وأخذ زينته وتهيَّأ للدخول على الله ومناجاته.. شرع له أن يدخل عليه دخول العبيد على الملوك، فيدخل بالتعظيم والإجلال، فشرع له أبلغ لفظ يدل على هذا المعنى وهو قول: ((الله أكبر)).

فإن في هذا اللفظ من التعظيم والتخصيص والإطلاق في جانب المحذوف المجرور بمن ما لا يوجد في غيره؛ ولهذا كان الصواب أن غير هذا اللفظ لا يقوم مقامه، ولا يؤدي معناه، ولا تنعقد الصلاة إلا به كما هو مذهب أهل المدينة وأهل الحديث. فجعل هذا اللفظ واستشعار معناه، والمقصود به باب الصلاة الذي يدخل العبد على ربه منه، فإنه إذا استشعر بقلبه أن الله أكبر من كل ما يخطر بالبال استحيا منه أن يشغل قلبه في الصلاة بغيره. فلا يكون موفيًا لمعنى الله أكبر، ولا مؤديًا لحق هذا اللفظ، ولا أتى البيت من بابه، بل الباب عنه مسدود، وهذا بإجماع السلف أنه ليس للعبد من صلاته إلا ما عقل منها وحضره بقلبه.

والمقصود أنه قبيح بالعبد أن يقول بلسانه: ((الله أكبر))، وقد امتلأ قلبه بغير الله فهو قبلة قلبه في الصلاة، ولعله لا يحضر بين يدي ربه في شيء منها، فلو قضى حق الله أكبر وأتى البيت من بابه لدخل وانصرف بأنواع التحف والخيرات"؛ ا هـ بتصرف.

روحانيات الجلوس بين السجدتين وما يقال فيه من الأدعية [١/٢]

سنبدأ في هذا المقال- بعون الله تعالى- مجموعة من المقالات للكلام على روحانيات الجلوس بين السجدتين وما يقال فيه من الأدعية (ونسأل الله أن يرزقنا وإياكم الخشوع له تعالى في صلواتنا كلها):

روحانيات الجلوس بين السجدتين:

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "ثم شرع له أن يرفع رأسه، ويعتدل جالسًا، ولما كان هذا الاعتدال محفوفًا بسجودين: سجود قبله، وسجود بعده، فينتقل من السجود إليه، ثم منه إلى السجود الآخر، كان له شأن، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يطيل الجلوس بين السجدتين بقدر السجود، يتضرع إلى ربه فيه، ويدعوه ويستغفره، ويسأله رحمته، وهدايته ورزقه وعافيته، وله ذوق خاص، وحال للقلب غير ذوق السجود وحاله؛ فالعبد في هذا القعود يتمثَّل جاثيًا بين يدي ربه، مُلقيًا نفسه بين يديه، مُعتَذرًا إليه مما جَناه، راغبًا إليه أن يغفر له ويرحمه، مستَغيثًا به على نفسه الأمَّارة بالسوء.

ومن صيغ وروحانيات أدعية الجلوس بين السجدتين:

الصيغة الأولى: التي تقال في الجلوس بين السجدتين: ((رب اغفر لي، رب اغفر لي))؛ رواه أبو داود، والنسائي، وابن ماجه.

من روحانيات هذا الاستغفار: ما أشار إليه ابن القيم رحمه الله تعالى بقوله: وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يكرر الاستغفار في هذه الجلسة فيقول: ((رب اغفر لي، رب اغفر لي، رب اغفر لي))، ويكثر من الرغبة فيها إلى ربه.

فمثِّل أيها المصلي نفسك فيها بمنزلة غريم عليه حق، وأنت كفيل به، والغريم مماطل مخادع، وأنت مطلوب بالكفالة، والغريم مطلوب بالحق، فأنت تستعدي عليه حتى تستخرج ما عليه من الحق،؛ لتتخلص من المطالبة، والقلب شريك النفس في الخير والشر، والثواب والعقاب، والحمد والذم.

والنفس من شأنها الإباق والخروج من رقِّ العبودية، وتضييع حقوق الله عز وجل وحقوق العباد التي قبلها، والقلب شريكها إن قوي سلطانها وأسيرها، وهي شريكته وأسيرته إن قوي سلطانه.

فشرع للعبد إذا رفع رأسه من السجود أن يجثو بين يدي الله تعالى مستعديًا على نفسه، معتذرًا من ذنبه إلى ربه ومما كان منها، راغبًا إليه أن يرحمه ويغفر له ويرحمه ويهديه ويرزقه ويعافيه.

روحانيات الجلوس بين السجدتين وما يقال فيه من الأدعية [٢/٢]

نواصل- بعون الله تعالى- الكلام على روحانيات الجلوس بين السجدتين وما يقال فيه من الأدعية (ونسأل الله أن يرزقنا وإياكم الخشوع له تعالى في صلواتنا كلها):

الصيغة الثانية التي تقال في الجلوس بين السجدتين: ((اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي وَاجْبُرْنِي وَاهْدِنِي وَارْزُقْنِي))؛ رواه أبو داود، والترمذي، وصححه الحاكم.

قوله صلى الله عليه وسلم: ((اللَّهم اغفر لي)): سؤال الله المغفرة، وهو محو الذنوب، وسترها عن الناس.

قوله: ((وارحمني))؛ أي: تعطَّف عليَّ، ففيه سؤال الله الرحمة التي تقتضي توالي الخيرات والبر والإحسان والنعم، ففي المغفرة يأمن العبد من كل مرهوب، وفي سؤال الرحمة يفوز العبد بكلّ مرغوب.

قوله: ((وعافني))؛ أي: سلّمني من جميع الآفات، والفتن، والنجاة من البلايا والمحن في الدين والدنيا والآخرة.

قوله: ((وارزقني)): أعطني ما ينفعني عطاءً واسعًا بما يغنيني عن سواك، من الرزق الحلال، أستعين به على القيام بالتكاليف المطلوبة من الإنفاق على الأهل، والولد، والفقير وغير ذلك، سأل الرزق الذي تقوم به الأبدان، ثم سأل ما به قوام الأرواح، وارزقني العلم والإيمان واليقين، وهذا الأخير أفضل أنواع الرزق الذي يعود نفعه على العبد في الدنيا والآخرة.

قوله: ((واهدني))؛ أي: أرشدني ووفِّقني للحق الذي فيه صلاح الحال والمآل، حتى أتوصَّل به إلى أبواب السعادة في الدنيا والآخرة؛ فإن الهداية هدايتان: هداية علم وبيان، وهداية توفيق ورشد، فالعبد يسألهما ربه عز وجل.

قوله صلى الله عليه وسلم: ((اجبرني)) هنا سأل الداعي ربه أن يجبره لما فيه سدّ حاجته، وأن يردَّ عليه ما ذهب من خير، وأن يعوّضه، ويصلح ما نقص منه، فإن من أسمائه تعالى (الجبار)، ومن معانيه الجليلة: الذي يجبر الضعيف والكسير، ويغني الفقير، وييسّر كل عسير، فعندما يدعو العبد به ينبغي أن يستحضر هذه المعاني الجليلة.

قوله: ((وارفعني)) هنا سأل الداعي ربه: أن يرفع قدره في الدنيا والآخرة، ففي الدنيا من رفع المكانة من الثناء الحسن، والقبول عند الناس، والرفعة في العلم والقدر، وفي الآخرة في الدرجات العُلا في أعالي الجنان.

*** *** ***

روحانيات الذكر الوارد في الجلوس الأول وهو التشهد [١/٣]

سنبدأ في هذا المقال- بعون الله تعالى- الكلام على الذكر الوارد في الجلوس الأول وهو التشهد في ثلاث حلقات (ونسأل الله أن يرزقنا وإياكم الخشوع له تعالى في صلواتنا كلها):

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "فلما قضى صلاته وأكملها ولم يبق إلا الانصراف منها، فشرع الجلوس في آخرها بين يدي ربه مُثنيًا عليه بما هو أهله، فأفضل ما يقول العبد في جلوسه هذه التحيات التي لا تصلح إلا لله، ولا تليق بغيره.

الصيغة الأولى للتشهد الأول: ((التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ))؛ رواه البخاري ومسلم.

الصيغة الثاني للتشهد الأول: ((التَّحِيَّاتُ الْمُبَارَكَاتُ، الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ لِلَّهِ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ))؛ أخرجه مسلم والنسائي.

قوله: ((التَّحِيَّاتُ المبارَكَاتُ))؛ أي: التَّحِيَّاتُ النَّامِيَاتُ الزَّائِدَاتُ للهِ تَعَالَى، والتَّحيَّاتُ جمْعُ تَحِيَّة، وهي: المِلكُ، وقيل: البَقاء؛ وقيل: التعظيم، كل نوع من أنواع التحيات فهو لله.

((الصَّلَوَاتُ)): الدُّعاءُ، أو الصلوات الخمس، أو كل الصلوات المعبود بها، أو العبادات كلها والأدعية وغير ذلك من أنواع العبادة؛ كالخوف والرجاء، والتوكل والإنابة والخشية فهو سبحانه مستحقها، ولا تليق بأحد سواه.

((الطيبات)): لها معنيان:

الأول: ما يتعلق بالله، فله سبحانه من الأقوال والأفعال والأوصاف أطيبها كما قال النبي صلى الله عليه وسلم من حديث أبي هريرة عند مسلم: ((إن الله طيب لا يقبل إلا طيبًا)).

الثاني: ما يتعلق بأفعال العباد فله من أقوالهم وأفعالهم الطيب كما تقدم في حديث أبي هريرة: ((ولا يقبل إلا طيبًا)).

وأما ما لم يكن طيبًا فلا يصعد إلى السماء بل يبقى في الأرض، قال تعالى: ﴿ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠].

وخلاصة القول: كل ذلك مستحق لله وحده، ولا يليق بغيره سبحانه، والمصلي يجلس بين يدي ربه جلسة الراغب الراهب، يسأل ربه ما لا غنى له عنه، ويقدم التحيات بين يدي سؤاله، ويتوسل إلى الله بعبادته والثناء عليه، والشهادة له وحده بالوحدانية، ولرسوله بالرسالة، ثم يتبع ذلك بالصلاة على من نالت أمته هذه النعمة على يديه، ثم الصلاة على آله تكميلًا لقرة عينه، وهي أفضل صيغ الصلاة على الرسول، ثم يثني فيصلي على أبي الأنبياء إبراهيم صلى الله عليه وسلم وآله.

*** *** ***

-86-

الذكر الوارد في الجلوس الأول وهو التشهد [٢/٣]

نواصل- بعون الله تعالى- الكلام على الذكر الوارد في الجلوس الأول وهو التشهد (ونسأل الله أن يرزقنا وإياكم الخشوع له تعالى في صلواتنا كلها):

وقفنا عند قول المصلي: ((السلام عليك أيها النبي)): قيل: المراد اسم الله عز وجل كما في الحديث السابق ((فإن الله هو السلام)) وكما قال تعالى: ﴿ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ﴾ [الحشر: ٢٣] فيكون المعنى: أن الله على الرسول صلى الله عليه وسلم بالحفظ والعناية، فكأننا نقول: الله عليك أيها النبي؛ أي: رقيب حافظ مُعْتنٍ بك ونحوه.

((ورحمة الله)): الرحمة هنا تشمل ما يحصل به المطلوب وما يزول به المرهوب، فتدعو للنبي صلى الله عليه وسلم بذلك، وبدأ بالسلام قبل الرحمة؛ لأن التخلية قبل التحلية، فالتخلية: أن يسلم من النقائص، والتحلية: ذكر الأوصاف الكاملة.

((وبركاته)): جمع بركة، وهي الخير الكثير الثابت، فندعو للنبي صلى الله عليه وسلم بالبركة بكثرة اتباعه والاقتداء به في أمته.

قال أحد العلماء: وصف النبي صلى الله عليه وسلم بالنبوة- السلام عليك أيها النبي- في هذا الحديث، وقيل في ذلك حِكم، منها:

أ/ لأجل أن يُجمع بين النبوة والرسالة؛ لأن الرسالة ذُكرت في آخر الحديث ((وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وسلم)) فذُكرت النبوة في أوله.

ب/ وقيل: لأن النبوة كانت قبل الرسالة، فقد نبِّئ النبي صلى الله عليه وسلم ثم أُرسل.

ج/ ويحتمل أن يكون تطبيقًا لما في القرآن في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] فذُكر التسليم مع الوصف بالنبوة.

ثم يقول: ((السلام علينا))؛ أي: على الحاضرين من الإمام والمأموم والملائكة، وقيل: المراد السلام على جميع الأمة المحمدية.

((وعلى عباد الله الصالحين)): وهذا تعميم بعد تخصيص؛ لأن عباد الله الصالحين هم كل عبد صالح في السماء والأرض، حيّ أو ميّت من الآدميين والملائكة والجن؛ لحديث ابن مسعود مرفوعًا: ((فإنكم إذا قلتم ذلك فقد سلَّمتم على كل عبد صالح في السماء والأرض))؛ متفق عليه.

ومن روحانيات هذا التسليم ما قاله ابن القيم رحمه الله تعالى: ثم شرع له أن يسلِّم على سائر عباد الله الصالحين، وهم عباده الذين اصطفى بعد الثناء، وتقديم الحمد لله فطابق ذلك قوله تعالى: ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ [النمل: ٥٩] وكأنه امتثال له.

*** *** ***

-87-

الذكر الوارد في الجلوس الأول وهو التشهد [٣/٣]

نواصل- بعون الله تعالى- الكلام على الذكر الوارد في الجلوس الأول وهو التشهد (ونسأل الله أن يرزقنا وإياكم الخشوع له تعالى في صلواتنا كلها):

ثم يقول: ((أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ))؛ أي: أعلم وأعتقد جازمًا لله بالوحدانية في الربوبية والألوهية والأسماء والصفات، ولنبيه محمد عليه الصلاة والسلام بالعبودية الحقة، فهو أعبد العابدين لله، كما أشهد له بأداء الرساله وتبليغها.

وشرح الشهادتين قد يحتاج إلى مجلد كبير لكن لما كان معناها معروفًا في الجملة فيجب على المصلي أن يستحضر ذلك، والله أعلم.

ومن روحانيات التشهد الأول ما أشار إليه الغزالي رحمه الله بقوله: وأما التشهد فإذا جلست له فاجلس متأدبًا، وصرح بأن جميع ما تدلي به من الصلوات والطيبات أي من الأخلاق الطاهرة لله. وكذلك الملك لله وهو معنى "التحيات" وأحضر في قلبك النبي صلى الله عليه وسلم وشخصه الكريم وقل: ((السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته)) وليصدق أملك في أنه يبلغه ويرد عليك ما هو أوفى منه. ثم تسلم على نفسك وعلى جميع عباد الله الصالحين. ثم تأمل أن يرد الله سبحانه عليك سلامًا وافيًا بعدد عباده الصالحين. ثم تشهد له تعالى بالوحدانية ولمحمد نبيه صلى الله عليه وسلم بالرسالة مجددًا عهد الله سبحانه بإعادة كلمتي الشهادة ومستأنفًا للتحصن بها.

وقال ابن القيم رحمه الله: "إعلان التحية للنبي صلى الله عليه وسلم والثناء عليه مع الدعاء له بالرحمة والبركة زيادة على ما رحمه الله وبارك له عليه الصلاة والسلام".

وقال أحد العلماء: في التشهد من أوله إلى هنا راعى فيه النبي صلى الله عليه وسلم جانب التدرج بالدعاء:

أ - فابتدأ بالثناء على الله.

ب - ثم السلام على النبي صلى الله عليه وسلم.

ج - ثم الدعاء للنفس.

د - ثم الدعاء لإخوانه المسلمين.

فانتظم الدعاء أحسن نظام، وهذا ما ينبغي للإنسان مراعاته في دعائه فيضع لكل أمر موضعه المناسب.

*** *** ***

-88-

الأذكار والأدعية الواردة في الجلوس الأخير [١/٧]

سنبدأ في هذا المقال - بعون الله تعالى - مجموعة من المقالات للكلام على الأذكار والأدعية الواردة في الجلوس الأخير (ونسأل الله أن يرزقنا وإياكم الخشوع له تعالى في صلواتنا كلها):

في هذا الجلوس الأخير عدد من الأذكار وهي: التشهد الأول (وقد سبق شرحه)، ثم الصلاة الإبراهيمية، ثم بعض الأدعية التي وردت في السنة النبوية المشرفة.

وفي هذه الحلقة سنبدأ الحديث عن الصلاة الإبراهيمية، وقد وردت فيها صيغ كثيرة نكتفي بشرح واحدة منها ونبين ما فيها من روحانيات، وهي:

((اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ))؛ رواه البخاري ومسلم.

ومن المهم جدًّا أن يعلم المصلي شرح الصلاة الإبراهيمية:

قوله: ((اللهم صلِّ على محمد)): قال أبو العالية رحمه الله تعالى: صلاة الله ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة الدعاء.

وقال ابن عباس: ((يُصَلُّونَ)): يُبَرِّكُون. ذكر ذلك البخاري تعليقًا.

وقال بعض العلماء: معنى قولنا: ((اللهم صلِّ على محمد))؛ أي: عظمه في الدنيا بإعلاء ذكره، وإظهار دعوته، وإبقاء شريعته، وفي الآخرة بتشفيعه في أُمَّته، وتضعيف أجره ومثوبته، وإعطائه المقام المحمود.

قوله: ((وعلى آل محمد)): قال العلماء؛ أي: وصَلِّ على آل محمد، وآل محمد قيل: إنهم أتباعه على دينه، وقيل: آل النبي صلى الله عليه وسلم: قرابته المؤمنون، والصحيح الأول، وهو أن الآل هم كل من تبع النبي صلى الله عليه وسلم على مِلَّته ودينه، فيدخل فيهم زوجاته وذريته وقرابته المؤمنون به وصحابته رضي الله عنهم.

قوله: ((اللهم بارك على محمد)): قال الفيروزآبادي: (البَرَكَة): النماء والزيادة والسعادة، والتبريك: الدعاء بها، وبَريك: مُبارك فيه، وبارك الله لك وفيك وعليك وباركك.

و((بارِك على محمد وعلى آل محمد)): أَدِم له ما أعطيته من التشريف والكرامة.

ثم يقول: ((كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم)): قال تعالى: ﴿ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴾ [الصافات: ١٠٩] ثم قال: ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ﴾ [الصافات: ١١٣] قال البغوي: يعني على إبراهيم في أولاده.

وقال القرطبي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ﴾ [الصافات: ١١٣]؛ أي: ثَنَّينَا عليهما النعمة.

وقيل: كثرنا ولدهما؛ أي: باركنا على إبراهيم وعلى أولاده، وعلى إسحاق حين أخرج أنبياء بني إسرائيل من صُلْبِه.

ومن هذه البركة أن الله ما بَعث نبيًّا بعد إبراهيم إلا من ذريته. قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [العنكبوت: ٢٧].

*** *** ***

الأذكار والأدعية الواردة في الجلوس الأخير [٧/٢]

نواصل- بعون الله تعالى- الكلام على الأذكار والأدعية الواردة في الجلوس الأخير (ونسأل الله أن يرزقنا وإياكم الخشوع له تعالى في صلواتنا كلها):

ثم يقول المصلي في ختام الصلاة الإبراهيمة: ((إنك حميد مجيد)): قال ابن عطية: ((حَمِيد))؛ أي: أفعاله تقتضي أن يُحمَد. وقال ابن جُزي الكلبي في التفسير: ((حَمِيد))؛ أي: محمود.

قوله: ((مجيد)): قال ابن منظور في لسان العرب: المجد المروءة والسخاء، والمجد: الكرم والشرف. وقيل: المجد الأخذ من الشرف والسؤدد ما يكفي.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: "ولما كانت الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم وهي ثناء الله تعالى عليه وتكريمه، والتنويه به، ورفع ذكره وزيادة حُبِّه وتقريبه كما تقدم كانت مشتملة على الحمد والمجد، فكأن المصلي طلب من الله تعالى أن يزيد في حمده ومجده، فإن الصلاة عليه هي نوع حمد له وتمجيد".

وللعلامة ابن القيم كلام مهم في بيان الحكمة من ختم التشهد باسميه تعالى "الحميد المجيد" حيث رحمه الله تعالى: في اختتام هذه الصلاة بهذين الاسمين من أسماء الرب سبحانه وتعالى وهما: الحميد والمجيد: فالحميد: فعيل من الحمد، وهو بمعنى محمود، وأكثر ما يأتي "فعيل" في أسمائه تعالى بمعنى فاعل؛ كسميع وبصير وعليم وقدير وعلي وحكيم وحليم، وهو كثير، وكذلك فعول كغفور وشكور وصبور.

وأما ((الحميد)) فلم يأتِ إلا بمعنى المحمود، وهو أبلغ من المحمود. فالحميد هو الذي له من الصفات وأسباب الحمد ما يَقتضي أن يكون محمودًا، وإن لم يحمده غيره، فهو حميد في نفسه، والمحمود من تَعَلَّق به حَمْد الحامدين، وهكذا المجيد والممجَّد، والكبير والمكبَّر، والعظيم والمعظَّم. والحمد والمجد إليهما يَرجع الكمال كله، فإن الحمد يستلزم الثناء والمحبة للمحمود، فمن أحْبَبْتَه ولم تُثْنِ عليه لم تكن حامدًا له حتى تكون مُثْنِيًا عليه مُحِبًّا له، وهذا الثناء والحب تَبَع للأسباب المقتضية له، وهو ما عليه المحمود من صفات الكمال ونعوت الجلال والإحسان إلى الغير؛ ا هـ.

((وبارك على إبراهيم وعلى آل إبراهيم)): قال تعالى: ﴿سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ [الصافات: ١٠٩] ثم قال: ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ﴾ [الصافات: ١١٣] قال البغوي: يعني على إبراهيم في أولاده.

*** *** ***

الأذكار والأدعية الواردة في الجلوس الأخير [٧/٣]

نواصل- بعون الله تعالى- الكلام على الأذكار والأدعية والواردة في الجلوس الأخير (ونسأل الله أن يرزقنا وإياكم الخشوع له تعالى في صلواتنا كلها):

وحديثنا سيكون حول بعض الأدعية الواردة بعد الصلاة الإبراهيمية وقبل التسليم:

فمن الأدعية الواردة:

عن عُرْوَة بْن الزُّبَيْرِ أن عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم أَخْبَرَتْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ مِنَ الْمَغْرَمِ، فَقَالَ: إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ))؛ رواه البخاري ومسلم.

معنى قوله: ((اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بك))؛ أي: أَلجَأُ إليك، وأعتَصِمُ بك، وأستَجِيرُ بك أنْ تُنَجِّيَنِي ((مِن عَذابِ القَبرِ)) وهو عُقوبَتُه وفِتنتُه؛ لأنَّه أوَّلُ مَنزِلٍ مِن منازِلِ الآخِرةِ، ومَن نَجا وخَلُص مِن عذابِ القَبرِ فما بَعدَه مِن مَنازِلِ الآخِرةِ أيسر منه وأسهلُ؛ لأنَّه لو كان عليه ذَنبٌ لكُفِّرَ بعذابِ القَبرِ.

ومعنى قوله: ((ومِن عذابِ النَّارِ)) وهي النَّارُ التي أعَدَّها اللهُ تعالَى عِقابًا لمِن خالَفَ أمْرَهُ وعصاهُ- أعاذَنا اللهُ منها بفَضلِه ورحمتِه- في الآخِرةِ، ومِن صِفاتِ المؤمنينَ أصحابِ العُقولِ الصَّحيحةِ، والقُلوبِ السَّليمةِ: أنَّهم يَسْتَعيذونَ منها دَوْمًا، ومَن سَلِمَ مِنَ النَّارِ وزُحْزِحَ عنها فإنَّه يَدخُلُ الجنَّةَ، وذلك هو الفوزُ العظيمُ.

ومعنى ((مِن فِتْنةِ المحْيَا والمَماتِ)) الفِتْنةُ: هي الامتِحانُ والاختِبارُ، وما مِن عَبدٍ إلَّا وهو مُعرَّضٌ للابتِلاءِ والفِتَنِ في الدُّنيا والآخرةِ؛ ولذلك فإنَّ النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ قد علَّم أُمَّتَه الاستِعاذةَ مِن الفِتَنِ.

قال ابن دقيق العيد رحمه الله تعالى: مَا يَتَعَرَّضُ لَهُ الإِنْسَانُ مُدَّةَ حَيَاتِهِ، مِنْ الافْتِتَانِ بِالدُّنْيَا وَالشَّهَوَاتِ وَالْجَهَالاتِ، وَأَشَدُّهَا وَأَعْظَمُهَا -وَالْعِيَاذُ بِاَللَّهِ تَعَالَى- أَمْرُ الْخَاتِمَةِ عِنْدَ الْمَوْتِ.

ومعنى ((أعوذ بك من فِتنة المماتِ)) يدخُل فيها سُوءُ الخاتِمةِ وفِتنةُ القَبْرِ-كسؤالِ الملَكينِ- وغيرُ ذلك.

وقال ابن دقيق العيد: "يَجُوزُ أَنْ يُرَادَ بِهَا الْفِتْنَةُ عِنْدَ الْمَوْتِ. أُضِيفَتْ إلَى الْمَوْتِ لِقُرْبِهَا مِنْهُ". وكان ابن أبي مليكة يقول: "اللهم إنا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا، أو نفتن عن ديننا"؛ رواه البخاري ومسلم.

وكان سلف هذه الأمة يخافون على أنفسهم من فتنة المحيا ومن فتنة الممات، وكان أبو هريرة رضي الله تعالى عنه يقول: "وما يؤمنني وإبليس حَيّ؟!".

الأذكار والأدعية الواردة في الجلوس الأخير [٤/٧]

نواصل- بعون الله تعالى- الكلام على الأذكار والأدعية الواردة في الجلوس الأخير (ونسأل الله أن يرزقنا وإياكم الخشوع له تعالى في صلواتنا كلها):

ولا زلنا مع شرح الدعاء الأول الوارد بعد الصلاة الإبراهيمية وقبل التسليم:

ومعنى قولُه: ((ومِن فِتْنةِ المسِيحِ الدَّجَّالِ))؛ أي: أنْ أُصَدِّقَه، أو أَقَعَ تحتَ إغوائِه، وهو أعظمُ الفِتَنِ وأخطَرُها في الدُّنيا؛ ولذلك حذَّرتِ الأنبياءُ جميعًا أُمَمَها مِن شرِّه وفِتْنتِه؛ ولذلك كان النبيُّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ يَستعيذُ مِن فِتْنتِه في كلِّ صلاةٍ، وبيَّنَ أنَّ فِتْنتَه أعظَمُ الفِتَنِ مُنذُ خَلَقَ اللهُ آدَمَ عليه السَّلامُ إلى قِيامِ السَّاعةِ.

وسُمِّيَ مَسِيحًا؛ لأنَّه مَمْسوحُ العَيْنِ مَطْموسُها، فهو أَعْوَرُ، وسُمِّي الدَّجَّالَ؛ تَمْيِيزًا له عن المسِيحِ عيسى ابنِ مريمَ عليه السَّلامُ، والدَّجَّالُ مِنَ التَّدْجِيلِ بمعنى التَّغطيةِ؛ لأنَّه كذَّابٌ يُغَطِّي الحقَّ ويَستُرُه، ويُظهِرُ الباطلَ.

والدَّجَّالُ: شخصٌ مِن بني آدمَ، وظُهورُه مِن العَلاماتِ الكُبرى ليومِ القيامةِ، يَبتلي اللهُ به عِبادَه، وأَقْدَره على أشياءَ مِن مَقدوراتِ الله تعالى: مِن إحياءِ الميتِ الذي يَقتُلُه، ومِن ظُهورِ زَهرةِ الدُّنيا والخِصْبِ معه، وجَنَّتِه ونارِه، ونَهْرَيْهِ، واتِّباعِ كُنوزِ الأرضِ له، وأمْرِهِ السَّماءَ أنْ تُمطِرَ فتُمطِرَ، والأرضَ أن تُنبِتَ فتُنبِتَ؛ فيَقَعُ كلُّ ذلك بقُدرةِ الله تعالَى ومشيئتِه.

ومعنى ((المأثم والمغرم)): قيل: ((المغرم)) هو الدَّينُ الَّذي لا يَقدِرُ الإنسانُ على وَفائِه وقَضائِه، وقيل: بل التَّعوُّذُ مِن الدَّينِ مُطلقًا، سواءٌ قدَرَ عليه أو لَم يقدِرْ.

((والمأثَم)) هو: ما يُسبِّبُ الإثمَ الَّذي يَجُرُّ إلى الذَّمِّ والعُقوبَةِ.

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله في الفتح: ((والمأثم)): ما يقتضي الإثم، والمغرم: ما يقتضي الغرم.

وقيل: وإنَّما كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يَدْعو ببَعضِ هذه الأدعيَةِ من باب التَّواضعِ والشُّكرِ للهِ سبحانه وتعالى، وربَّما تقَعُ منه تعليمًا لأمَّتِه؛ لأنَّ بعضَ هذِه الأمورِ قد عُلِمَ أنَّ اللهَ تعالى قد عَصَمَ نبيَّه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ مِن الوقوعِ فيها.

- قال القاضي عياض رحمه الله تعالى: ودعاء النبي صلى الله عليه وسلم واستعاذته من هذه الأمور التي قد عُوفي منها وعُصم إنما فعله ليلتزم خوف الله تعالى وإعظامه والافتقار إليه ولتقتدي به أمته، وليبين لهم صفة الدعاء والمهم منه.

*** *** ***

الأذكار والأدعية الواردة في الجلوس الأخير [٥/٧]

نواصل- بعون الله تعالى- الكلام على الأذكار والأدعية الواردة في الجلوس الأخير (ونسأل الله أن يرزقنا وإياكم الخشوع له تعالى في صلواتنا كلها):

ونقف مع دعاء آخر من الأدعية الواردة بعد الصلاة الإبراهيمية وقبل التسليم:

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: كانَ يقولُ في دُعَائِهِ: ((اللَّهُمَّ إنِّي أَعُوذُ بكَ مِن شَرِّ ما عَمِلْتُ، وَشَرِّ ما لَمْ أَعْمَلْ))؛ رواه مسلم.

معنى قوله: ((اللَّهم إني أعوذ بك من شرّ ما عملت))؛ أي: من السيئات، أو من شر ما اكتسبته، مما قد يقتضي عقوبة في الدنيا، أو يقتضي في الآخرة، "أو عمل يحتاج فيه إلى العفو من حسنات؛ يعني: من شر تَركي العمل بها، فتضمَّنت هذه الاستعاذة: الاستعاذة من كلّ الشرور، والذنوب الماضية ".

استعاذ النبي صلى الله عليه وسلم وهو المعصوم، ليلتزم خوف اللّه، وإعظامه، وإجلاله، والافتقار إليه في كل أحواله، وليبيّن صفة الدعاء، ليُقتدَى به، فهو صلى الله عليه وسلم أعماله: سابقها، ولاحقها، كلّها خير لا شرّ فيها.

ومعنى قوله: ((ومن شرّ ما لم أعمل)): من الحسنات؛ أي: من شرِّ تركي العمل بها، أو المراد من شرِّ ما لم أعمله بعدُ من السيئات والآثام، بأن تحفظني منه في المستقبل، ومن كل عمل لا يرضيك، ويجلب غضبك، وتضمنت هذه الاستعاذة: الاستعاذة من كل الشرور، والذنوب الحالية والمستقبلية.

ففي هذه الاستعاذة بيان ودلالة: على أن ما يصيب العبد من الشرِّ إنما هو بسبب ما عملته يداه، أو بسبب ما عملته أيدي الناس، وإن لم يكن هو العامل المباشر، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠] وقوله تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الأنفال: ٢٥].

وفي هذا دلالة على ضعف الإنسان، وشدة افتقاره إلى مولاه وخالقه عز وجل، في إصلاح شؤونه، واستقامة أموره، والوقاية من شرور نفسه، وسيئات أعماله، وأنه لا غنى له عن ربه عز وجل وسيده طرفة عين، وأنه ينبغي له دائمًا السير على هذا المنوال، حتى يظفر برضا ربه عز وجل، ولا يخفى عليك يا عبد اللّه أهمية هذه الدعوة الطيبة؛ لما أخبرت به أمُّنا أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أن هذه الدعوة كانت أكثر ما كان يدعو بها صلى الله عليه وسلم وهو المغفور له ما تقدَّم من ذنبه، وما تأخَّر.

الأذكار والأدعية الواردة في الجلوس الأخير [٦/٧]

نواصل- بعون الله تعالى- الكلام على الأذكار والأدعية الواردة في الجلوس الأخير (ونسأل الله أن يرزقنا وإياكم الخشوع له تعالى في صلواتنا كلها):

ونقف مع دعاء آخر من الأدعية الواردة بعد الصلاة الإبراهيمية وقبل التسليم:

وهو ما ورد عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي، قَالَ: ((قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّك أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ))؛ رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي والنسائي.

هذا الحديث عظيم القدر، من تدبَّره وتمعَّن فيه ظهر له من جلالته؛ لأن فيه الاعتراف بغاية التقصير، والإقرار بنهاية الكمال لله تعالى، وطلب العفو، والتجاوز الموصل إلى حصول النعيم الأبدي.

ومعنى قوله: ((اللَّهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا)): هذا اعتراف من العبد إلى ربه بالتقصير بملابسته ما يستوجب العقوبة أو النقص، وإن الإنسان لا يعرى عن التقصير ولو كان صدِّيقًا.

ومعنى قوله: ((ظلمًا كثيرًا)): أكده بالمصدر، ووصفه زيادة في التذلُّل والخضوع للمولى سبحانه وتعالى، وهذا تعليم للداعي أنه ينبغي حالة دعائه أن يظهر غاية التذلُّل والخضوع لربه؛ فإن ذلك أقرب للإجابة، وأكثر ثوابًا وجزاءً.

- وفيه دليل على أن الواجب على العبد أن يكون على حذر من ربه تعالى في كل أحواله، وإن كان من أهل الاجتهاد في العبادة في أقصى غاية؛ إذ كان الصدِّيق مع موضعه في الدِّين لم يسلم مما يحتاج إلى الاستغفار إلى ربه تعالى منه، فمن باب أولى من كان دونه.

ومعنى قوله: ((ولا يغفر الذنوب إلا أنت))؛ أي: لا أحد يقدر على ستر الذنوب، والتجاوز عنها إلا أنت وحدك، ففيه الإقرار بالوحدانية لله تعالى، واستجلاب المغفرة منه.

*** *** ***

الأذكار والأدعية الواردة في الجلوس الأخير [٧/٧]

نواصل- بعون الله تعالى- الكلام على الأذكار والأدعية الواردة في الجلوس الأخير (ونسأل الله أن يرزقنا وإياكم الخشوع له تعالى في صلواتنا كلها):

ولا زلنا مع الدعاء الوارد في الصلاة الإبراهيمية وقبل التسليم وهو ما ورد عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ قَالَ لِرَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: عَلِّمْنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي، قَالَ: ((قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاغْفِرْ لِي مَغْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّك أَنْتَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ))؛ رواه البخاري ومسلم وأحمد والترمذي والنسائي.

ونكمل شرحه بعون الله تعالى:

ومعنى قوله: ((فاغفر لي مغفرة من عندك وارحمني)): دلّ تنكير ((مغفرة)) على أن المطلوب غفران عظيم، لا يُدرك كنهه، ووصفه بكونه من عنده سبحانه وتعالى بيان لذلك العظم؛ لأن الذي يكون من عند اللَّه تعالى لا يحيط به وصف، وفيه إشارة إلى طلب مغفرة متفضّل بها لا يقتضيها سبب من العبد من عمل حسن ولا غيره.

والمعنى: هبْ لي مغفرة تفضلًا، وإن لم أكن لها أهلًا بعملي؛ لهذا أضافها إليه ((من عندك)) فإنها تكون أعظم وأبلغ، فإن عظم العطاء من عظم المعطي.

وقدّم ((ظلمت نفسي)): وهو الاعتراف بالتقصير والذنب على سؤال المغفرة، فاغفر لي أدبًا جميلًا، كما قال ذلك أبوانا: آدم وحواء: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الأعراف: ٢٣]

ولا يخفى حسن ترتيب هذا الحديث؛ حيث قدّم الاعتراف بالذنب، ثم الوحدانية، ثم سؤال المغفرة، فإن الاعتراف بذلك أقرب إلى العفو والثناء على السيد بما هو أهله، وأرجى لقبول سؤاله.

ومعنى قوله: ((إنك أنت الغفور الرحيم)): إنك أنت مشعر بالتعليل؛ أي: اغفر لي، وارحمني لأن من دعاك يا ربنا، ولجأ إليك، وسألك المغفرة والرحمة، تغفر له وترحمه؛ لأنك كثير المغفرة، وكثير الرحمة بنا يا ربنا.

ونستطيع القول: قد تضمّن هذا الدعاء الجليل توسُّلين عظيمين:

١ – توسل بظلم النفس بتقصيرها وضعفها، وهو من التوسُّلات الجليلة التي يحبها اللَّه عز وجل كما سبق.

٢ – توسّل بأسماء الله تعالى الحسنى، ولا يخفى بحسن الختام مقابلة في السؤال والطلب فـ((اغفر لي)) مناسب ((للغفور))، و((الرحيم)) مناسب لـ((وارحمني))، وهو مناسب ما أمر الله تعالى به في الدعاء بأسمائه الحسنى: ﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى فَادْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠].

قال الكرماني رحمه الله تعالى: هذا الدعاء من الجوامع؛ لأن فيه الاعتراف بغاية التقصير، وطلب غاية الإنعام، فالمغفرة بستر الذنوب ومحوها، والرحمة إيصال الخيرات ولا شك، ولا ريب أن رحمة الله صفة من صفاته العظيمة، تليق بجلاله، ومن مقتضاها وآثارها إيصال الخيرات، ودفع النقمات، ففي الأول طلب الزحزحة عن النار، وفي الثاني طلب إدخال الجنة، وهذا هو الفوز العظيم.

*** *** ***

-95-

روحانيات السلام بعد الانتهاء من الصلاة

في هذا المقال يدور الحديث- بعون الله تعالى- عن روحانيات السلام بعد الانتهاء من الصلاة (ونسأل الله أن يرزقنا وإياكم الخشوع له تعالى في صلواتنا كلها):

معلوم أن التسليم ركن من أركان الصلاة عند الجمهور من أهل العلم، والثابت عند مسلم وغيره أنه صلى الله عليه وسلم كان يسلم عن يمينه: ((السلام عليكم ورحمة الله)) وعن شماله: ((السلام عليكم ورحمة الله)).

بداية أريد أن أذكر قول العلماء في النية المطلوبة عند التسليم من الصلاة؛ لأن صيغة السلام فيها خطاب للغير.

قال الإمام النووي رحمه الله: "وينوي الإمام بالتسليمة الأولى الخروج من الصلاة والسلام على من عن يمينه وعلى الحفظة، وينوي بالثانية السلام على من على يساره".

إذن فالتسليم من الصلاة فيه إشارة عجيبة وهي: أن المصلي لم يكن مع أهل الدنيا بل كان يتجول في ملكوت الله تعالى في أثناء صلاته، فلما رجع إليهم احتاج أن يسلم عليهم. والله أعلم.

فمن روحانيات السلام ما أشار إليه ابن القيم رحمه الله تعالى: وأما الباب الذي يخرج منه فهو باب السلام المتضمن أحد الأسماء الحسنى، فيكون مفتتحًا لصلاته باسمه تبارك وتعالى ومختتمًا لها باسمه فيكون ذاكرًا لاسم ربه أول الصلاة وآخرها.

فأولها باسمه ((الله))، وآخرها باسمه ((السلام))، فدخل فيها باسمه، وخرج منها باسمه، مع ما في اسم السلام من الخاصية، والحكمة المناسبة لانصراف المصلي من بين يدي الله، فإن المصلي ما دام في صلاته بين يدي ربه فهو في حماه الذي لا يستطيع أحد أن يخفره. بل هو في حمى من جميع الآفات والشرور، فإذا انصرف

من بين يديه تبارك وتعالى ابتدرته الآفات والبلايا والمحن، وتعرضت له من كل جانب، وجاءه الشيطان بمصائده وجنده، فهو متعرض لأنواع البلايا والمحن، فإذا انصرف من بين يدي الله مصحوبًا بالسلام لم يزل عليه حافظ من الله إلى وقت الصلاة الأخرى، وكان من تمام النعمة عليه أن يكون انصرافه من بين يدي ربه بسلام يستصحبه ويدوم له ويبقى معه؛ انتهى.

ومن روحانيات السلام من الصلاة ما أشار إليه الغزالي: واقصد عند التسليم السلام على الملائكة والحاضرين وانْوِ ختم الصلاة به، واستشعر شكر الله سبحانه على توفيقه لإتمام هذه الطاعة.

ثم أشعر قلبك الوجل والحياء من التقصير في الصلاة، وخف أن لا تقبل صلاتك وأن تكون ممقوتًا بذنب ظاهر أو باطن فترد صلاتك في وجهك، وترجو مع ذلك أن يقبلها بكرمه وفضله.

*** *** ***

-96-

الصلاة التي تقوِّي صلتك بالله تعالى

سنتحدث في هذا المقال- بعون الله تعالى - حول الكلام على الصلاة التي تقوِّي صلتك بالله تعالى (ونسأل الله أن يرزقنا وإياكم الخشوع له تعالى في صلواتنا كلها):

كيف تقوِّي الصلاة الصلة بين المصلي وبين ربه جل وعلا:

إنَّ أحدنا لو واظب على زيارة قريبه أو صديقه في كل أسبوع مرة، لقال الناس: إنه يحبه ويفشي إليه بأسراره، ويطمئن إلى مشورته؛ بل قد يصل الأمر إلى أن يقال: إذا أردت أن تعرف سر فلان- يعنونك أنت - فاسأل فلانًا يخبرك بكل أسراره، لما يرون من كثرة دخولك عليه.

والآن أقول: إن المصلي يقف بين ربه تعالى مناجيًا إياه.. يتذلل له.. يخضع له ويبتهل إليه، ويطرح حوائجه متضرعًا إليه، يفعل ذلك في كل يوم خمس مرات على الأقل فإذا صلى الضحى وقام من الليل زاد ذلك على الخمس وهكذا، فيا ترى كيف ستصبح هذه العلاقة؟!

ولعلنا من هنا نفهم لماذا ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة؛ أي: فزع إلى الله تعالى الرحيم بعبده، العليم بأحواله، القادر على قضاء حوائجه وتفريج همِّه، أظن أن مَن أحسن الصلاة وخشع فيها سيكون هذا هو حاله- الفزع إلى الصلاة - لعلمه بأن صلته به لن تخيبه في تفريج همومه.

ويذكر في هذا الباب أن أحد السلف أصابه همٌّ فقام فصلى ركعتين فاستجاب الله تعالى له في الحال، ثم إن ولده قام فصلى فسأل الله حاجته فلم ير إجابةً لدعائه فقال: يا أبتِ، ما لك تدعو فيستجاب لك وندعو فلا يستجاب لنا؟! فقال: يابني، إنها ليست صلاة ركعتين، إنها صلاة خمسين سنة.

ثم لا تنسَ أخي المصلي أن الصلاة من أولها إلى آخرها ذكر لله تعالى ما بين تلاوة لكلامه أو تسبيحه وتمجيده وتهليله أو سؤاله.. إلخ إلى أي شيء يوصلك وعلامَ يدلك؟ إنه يدلك إلى صلة بينك وبين ربك كلها حب وطمأنينة وإخلاص ورجاء وتوكُّل وثقة فيما يقدره لك.

قال الغزالي رحمه الله تعالى: "اعلم أن الناظرين بنور البصيرة علموا أنه لا نجاة إلا في لقاء الله تعالى، وأنه لا سبيل إلى اللقاء إلا بأن يموت العبد محبًّا لله تعالى وعارفًا بالله سبحانه. وأن المحبة والأنس لا تحصل إلا من دوام ذكر المحبوب والمواظبة عليه. وأن المعرفة به لا تحصل إلا بدوام الفكر فيه وفي صفاته وأفعاله. وليس في الوجود سوى الله تعالى وأفعاله. ولن يتيسر دوام الذكر والفكر إلا بوداع الدنيا وشهواتها والاجتزاء منها بقدر البلغة والضرورة وكل ذلك لا يتم إلا باستغراق أوقات الليل والنهار في وظائف الأذكار والأفكار".

*** *** ***

-97-

الصلاة التي تقوِّي صلتك بالنبي صلى الله عليه وسلم

في هذا المقال سنتحدث- بعون الله تعالى- عن الصلاة التي تقوِّي صلتك بالنبي صلى الله عليه وسلم (ونسأل الله أن يرزقنا وإياكم الخشوع له تعالى في صلواتنا كلها):

كيف تقوِّي الصلاة صلتك بالنبي صلى الله عليه وسلم:

إن ذكر المصلي للنبي صلى الله عليه وسلم يتمثل في ثلاثة مواضع،كلها في التشهد، وهي عند قولك: ((السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته)) وقولك: ((وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله)) والصلاة عليه عند قولك: ((الصلاة الإبراهيمية))، هذا عدا عن ذكره في الأذان وبعده والإقامة في الشهادتين، وفي ظني أن هذا الذكر للنبي صلى الله عليه وسلم ستحصد منه فوائد:

١/ زيادة حبك له صلى الله عليه وسلم في قلبك، وهذا الحب من صميم الإيمان ومما يزيد في الإيمان بالله ورسوله والإيمان بالآخرة.

٢/ تستفيد كثرة استحضارك له صلى الله عليه وسلم في ذهنك مما يجعلك تسعى للاقتداء به في سائر أمورك، سواء في العبادات أو المعاملات أو الأخلاق والآداب، وهذا مكسب عظيم نحن في أمس الحاجة إليه .

٣/ استحضار شخصه الكريم صلى الله عليه وسلم في ذاكرتك، وهذا مما يزيد في شوقك إليه، وربما رفع ذلك همَّتك للإكثار من الصلاة عليه.

ولهذا قال بعض العلماء: يجب أن نلفت الانتباه إلى أمر هامٍّ حول هذه القضية؛ ألا وهو أننا نقول في التشهد في كل صلاة: ((السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته))، فهذا السلام عليه ينبغي أن يكون مذكرًا لكل مسلم للتسليم له صلى الله عليه وسلم في أمره ونهيه، وإلا كان هذا السلام في التشهد حجة علينا وليس لنا.

*** *** ***

-98-

الصلاة تقوِّي صلتك بالأنبياء والمرسلين

سنتحدث- بعون الله تعالى- في هذا المقال حول الصلاة التي تقوِّي صلتك بالأنبياء والمرسلين عليهم السلام (ونسأل الله أن يرزقنا وإياكم الخشوع له تعالى في صلواتنا كلها):

جاء ذكر الأنبياء والمرسلين عليهم السلام في الصلاة في موضعين:

أحدهما: لا بد منه لكل مصلٍّ؛ لأنه ذكر مسنون في كل صلاة، والآخر بحسب ما يقرأ المصلي في صلاته.

أما الأول فهو في التشهد: فعن عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: كُنَّا نَقُولُ فِي الصَّلَاةِ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: السَّلَامُ عَلَى اللَّهِ، السَّلَامُ عَلَى فُلَانٍ. فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ يَوْمٍ: ((إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّلَامُ، فَإِذَا قَعَدَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ فَلْيَقُلْ: التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، فَإِذَا قَالَهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ لِلَّهِ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، ثُمَّ يَتَخَيَّرُ مِنَ الْمَسْأَلَةِ مَا شَاءَ))؛ رواه مسلم.

فالشاهد من الحديث قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((فَإِذَا قَالَهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ لِلَّهِ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ)) ولا أظن أحدًا يذكر هذه العبارة في صلاته ولا يتذكر تلك الكوكبة المصطفاة من الرُّسُل والأنبياء عليهم السلام، أفلا يهز هذا الذكر في قلبه الاشتياق إليهم. لكنها العجلة في الأذكار هي التي حالت بيننا وبين هذه الثمار.

وأما الموضع الآخر: فمتى ما شاء المصلي أن يقرأ سورة من القرآن فيها ذكر للأنبياء فإنه يكون قد استحضرهم في قلبه وعقله.

ونقول: ثمرة ذلك الاستحضار هو عين ما ذكرناه في فائدة ذكر النبي صلى الله عليه وسلم؛ ألا وهو زيادة محبتهم في قلبك، وهذا الحب من صميم الإيمان، ومما يزيد في الإيمان بالله ورسله والإيمان بالآخرة. ولا تنس قوله تعالى: ﴿ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا * ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٦٩، ٧٠].

*** *** ***

-99-

الصلاة تقوِّي صلتك بعباد الله الصالحين عمومًا وبالصحابة خصوصًا

في هذا المقال سنتحدث- بعون الله تعالى- عن أن الصلاة تقوِّي صلتك بعباد الله الصالحين عمومًا وبالصحابة خصوصًا (ونسأل الله أن يرزقنا وإياكم الخشوع له تعالى في صلواتنا كلها):

كيف تقوِّي الصلاة صلتك بعباد الله الصالحين:

يحصل ذلك عند ذكر الصالحين في الحديث السابق عند قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، فَإِذَا قَالَهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ لِلَّهِ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ)).

ومن الصالحين أئمة الإسلام كأئمة القراءات وأئمة الفقه والحديث والتفسير وأصول الفقه وغيرهم من علماء الإسلام. وهم كُثْر لا حصر لهم.

ومن الصالحين الزُّهَّاد والعُبَّاد وأهل التربية والتزكية والسلوك وتهذيب الأخلاق، وهم أيضًا كُثْر لا حصر لهم، أفلا يشعرك ذلك بإكرام الله لك؛ حيث شرفك بذكرهم وأنت في حضرة مناجاته تعالى.

إن استحضار هؤلاء وأولئك مما يزيد في حبك لهم والاشتياق إلى لقائهم والاقتداء بهم والدفاع عنهم والغيرة عليهم؛ لأن صلتك بهم ستزداد مع مرور الأيام وتكرار ذلك في القلب.

كيف تقوِّي الصلاة صلتك بالصحابة رضي الله عنهم:

ذكر الصحابة في الصلاة جاء في موضعين:

الأول: ما مرَّ معنا في الحديث السابق عند قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، فَإِذَا قَالَهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ لِلَّهِ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ)) فالصحابة في السماء بأرواحهم؛ لأنهم في الجنة.

الثاني: عند قولنا في التشهد: ((اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد)) وقد بينت لك سابقًا: أن الآل هم كل من تبع النبي صلى الله عليه وسلم على مِلَّته ودينه، فيدخل فيهم زوجاته وذريته وقرابته المؤمنون به وصحابته رضي الله عنهم.

وذكر هؤلاء الصحب الكرام في الصلاة مما يدل على عظيم فضلهم وعلو قدرهم؛ ولذا وجبت محبتهم كما وجبت معرفة قدرهم وسبقهم في الإسلام، وما شرفهم الله به من صحبة النبي صلى الله عليه وسلم، فلا يجيء أحد بعدهم أفضل منهم.

*** *** ***

-100-

الصلاة تقوِّي صلتك بالملائكة الكرام عليهم السلام

في هذ المقال سنتحدث- بعون الله تعالى- عن أن الصلاة تقوِّي صلتك بالملائكة الكرام عليهم السلام (ونسأل الله أن يرزقنا وإياكم الخشوع له تعالى في صلواتنا كلها):

كيف تقوِّي الصلاة صلتك بالملائكة الكرام عليهم السلام؟

ذكر الملائكة الكرام عليهم السلام في الصلاة جاء في عدد من المواضع:

الأول: في التشهد: ودليله: ما مرَّ معنا في الحديث السابق عند قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ((السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، فَإِذَا قَالَهَا أَصَابَتْ كُلَّ عَبْدٍ لِلَّهِ صَالِحٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ)) فقوله: ((السلام علينا)) المراد به: الحاضرون من الإمام والمأمومين، والملائكة عليهم الصلاة والسلام.

الثاني: وهو خاص بمن يحضر مبكرًا إلى صلاة الجماعة في المسجد:

ووردت في ذلك أحاديث عديدة، منها:

١/ الملائكة تصلي على من ينتظر الصلاة وتدعو له بالمغفرة والرحمة ما دام في مصلاه ما لم يحدث أو يؤذِ أحدًا بالكلام أو غيره، ودليله ما ورد عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((المِلائِكَةُ تُصَلِّي علَى أحَدِكُمْ ما دامَ في مُصَلّاهُ، ما لَمْ يُحْدِثْ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ له، اللَّهُمَّ ارْحَمْهُ، لا يَزالُ أحَدُكُمْ في صَلاةٍ ما دامَتِ الصَّلاةُ تَحْبِسُهُ، لا يَمْنَعُهُ أنْ يَنْقَلِبَ إلى أهْلِهِ إلَّا الصَّلاةُ))؛ رواه البخاري وفي رواية لمسلم: ((ما لم يؤذِ فيه، ما لم يحدث فيه)).

ولا أظن أن هناك دعاءً أفضل من دعاء الملائكة لك وأنت في هذا المكان أفضل البقاع- المسجد- وفي أفضل الحالات: الصلاة أو تلاوة القرآن أو ذكر الله تعالى، وأنت في انتظار فريضته.

٢/ عن البراء بن عازب رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((إنَّ اللَّهَ وملائِكتَهُ يصلُّونَ على الصَّفِّ الأوَّلِ))؛ صححه الألباني، صحيح ابن ماجه.

٣/ عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ((إِذَا أَمَّنَ الإمَامُ، فأمِّنُوا، فإنَّه مَن وافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ المَلَائِكَةِ غُفِرَ له ما تَقَدَّمَ مِن ذَنْبِهِ))؛ رواه البخاري.

إن هذه الصلة التي اكتسبها المصلي بملائكة الله تعالى كأني بها تزداد يومًا بعد يوم حتى يصبح هذا العبد محبوبًا لديهم، يغارون عليه ويدافعون عنه، أفلا يكفيه شرفًا وفضلًا أن يصل إلى هذا المقام، ولعل التوفيق الذي يصحب المصلي في أموره الدينية والدنيوية هو بسبب تلك الصلة التي بينه وبين الملائكة، والله أعلم.

*** *** ***

الفهارس